الاثنين 4 تموز 2022
العدد 4670 السنة السادسة عشرة
Lundi 4 Juillet 2022 nº 4670 16ème année

24 صفحة
10000 ليرة

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com

رأس المال
الأزمة بعد 3 سنوات: الحرمان الممتدّ

● ماهر سلامة
إدارة الفشل المصرفي

● علي القادري
أميركا تسعى لإعادة صياغة العولمة

مبادرة إيرانية لـ«لمّ الشمل»: سوريا وتركيا على طريق المصالحة؟ [8]

مغارة وزارة الاقتصاد: أفران مقفلة حصلت على مواد مدعومة

من يجرؤ على «عصابة الطحين»؟ [4]

المسيرات ـ الرحلة 1:
تثبيت إطار التفاوض
[3 ـ 2]

(أ ف ب)

على الغلاف

المقاومة تتجاوز رهان القيود وتفتح الباب على المفاجآت

يحيى دبوق

إرسال ثلاث طائرات مسيّرة غير مسلحة في اتجاه حقل كاريش، على الحدود اللبنانية مع فلسطين المحتلة، ليس حدثاً آنياً ينتهي مع نهاية الحدث نفسه، ولا يشبه أياً من العمليات التي نفّذها حزب الله ضد العدو في السنوات القليلة الماضية، سواء في ما يتعلق بالدافع، أو بالظرف المرافق، أو بالغاية النهائية منه.

عبارة «وصلت الرسالة»، كما وردت في بيان حزب الله الذي تبنّى فيه إرسال الطائرات الثلاث، تختصر التحليلات. لكن ما هي الرسالة، وما هو موجبها، وإلى أين تريد أن تصل؟ أكثر من سؤال بات مطروحاً على طاولة البحث في واشنطن وتل أبيب،

> **بدّدت المسيّرات نظرية «الوسيط» الأميركي باستغلال أزمات لبنان ودفعه لـ«قبول أي شيء» يعرض عليه**

عن أصل الحدث وعن رسائله.

من الواضح للجميع الارتقاء في رسائل حزب الله، من الموقف السياسي المعلن والحازم إلى خطوات عملية ولو بالحدّ الأدنى.

كذلك يبدو أن ما فرض هذه الخطوة التصعيدية، المحدودة، هو مسار مفاوضات الترسيم برعاية «الوسيط» الأميركي، والذي باتت تل أبيب وواشنطن فيه رهينتين للحسابات الخاطئة ولأطماع زادت عن حدها. ويمكن التقدير أن مسار المفاوضات ونتائجها الآنية، أو تلك التي يدفع باتجاهها العدو و«الوسيط»، لم تعد تسمح لحزب الله بالامتناع عن إرسال رسائل تحذير، عملية هذه المرة، كي يكف الجانبان، الإسرائيلي والأميركي، عن الحسابات الخاطئة التي قد تقود - بل تقود - إلى خيارات متطرفة.

أما في النتائج المباشرة لتسيير المسيّرات الثلاث، فيمكن إيراد الآتي:

أولاً، على إسرائيل من الآن أن تخفّض سقف اطمئنانها المبني على توقع أن حزب الله لن يجرؤ على تحويل موقفه السياسي إلى خطوات عملية.

ثانياً، رهان العدو و«الوسيط» على أن الأزمة المالية والاقتصادية عامل كابح وضاغط على حزب الله، بات متضعضعاً، إن لم يكن قد تبدّد.

ثالثاً، بيّن تسيير المسيرات عقم رسائل التهديد التي أطلقها قادة العدو أخيراً ضد حزب الله ولبنان، وتحديداً عن وزير الأمن بني غانتس ورئيس أركان الجيش أفيف كوخافي، وهي تهديدات لم تؤثر في قرار حزب الله، بل حفّزته أكثر للمبادرة.

رابعاً، تبديد نظرية استغلال أزمات لبنان ودفعه لـ«قبول أي شيء» يعرض عليه. وهي نظرية «الوسيط» الأميركي التي أعلنها جهاراً، ويبدو أنه عمد بمعية العدو إلى دفعها على طاولة المفاوضات، أو «طاولة الفرض» كما تريدها إسرائيل.

وأياً يكن الأمر، فإن مبادرة حزب الله من شأنها تعزيز الموقف الرسمي اللبناني المفاوض، أي موقف رئيس الجمهورية العماد ميشال عون، علماً أن معظم البقية يتماهلون للانزياح لإرادة الأميركي. وفي محصلة النقاط المثارة هنا، سيكون العدو معنياً بأن يبحث جيداً في رسالة حزب الله: هناك سقوف لا يمكن القبول بها. فهل وصلت الرسالة؟ وكيف سيكون الرد عليها؟

ردّ فعل العدو

ردود الفعل لدى المسؤولين الإسرائيليين، كما لدى الخبراء، تسمح بتلخيص الموقف الإسرائيلي على الشكل الآتي:

على المستوى الرسمي جاء موقف وزير الأمن مطابقاً لما عاد وقاله رئيس الحكومة الجديد يائير لابيد الذي لم يغيّر كثيراً من العبارات. فقد حذر الجانبان من إرباك المسار التفاوضي، واعتبر غانتس أن إرسال المسيّرات «يقوّض المفاوضات والاتفاق الذي يتبلور»، ما يؤكد حقيقة التوجه لفرض الإرادة وإعطاء لبنان فتات الثروة الغازية، وهو التفسير أكثر معقولية من تفسير آخر قيل إنه يتعلق بخشية إسرائيل على مسار المفاوضات لذاتها. والمعنى استطراداً: خطوة المسيّرات هي بدء رد مقابل على خطة العدو و«الوسيط» لفرض حل بعيداً من مصلحة لبنان.

بات العدو، كما يفهم من المواقف الرسمية أو تلك التي وردت على لسان الخبراء والمراسلين والمصادر، أمام خيارات عملانية متعددة، وهي كلها تحت سقف الرد المباشر في لبنان نتيجة الخشية من التداعيات، وكما لم تؤثر في قرار حزب الله، بل حفّزته أكثر للمبادرة.

تبديد نظرية استغلال أزمات لبنان ودفعه لـ«قبول أي شيء» يعرض عليه. وهي نظرية «الوسيط» الأميركي التي أعلنها جهاراً، ويبدو أنه عمد بمعية العدو إلى دفعها على طاولة المفاوضات، أو «طاولة الفرض» كما تريدها إسرائيل.

وعلني لأن المسألة معقدة».

ويمكن اختصار مروحة الرد غير المعقدة بثلاثة خيارات:

أولاً، الالارد لأنه لم يحدث أي ضرر. لكن اللارد سيؤدي إلى تشجيع محاولات مماثلة من حزب الله في المستقبل.

ثانياً، الرد. على البنية التحتية لحزب الله في سوريا، وهو ما سيظهر أننا غير معنيين (خائفون) من المهاجمة في لبنان.

الرد: بـ«حرب الوعي» سيبرانياً، لكن هذا الرد أيضاً سينظر إليه على أنه تعبير عن موقف إسرائيل ضعيف.

في المواقف غير الرسمية، تجاذب المقاربة اتجاهان: تقارير مدفوعة من ماكينة الجيش عملت على «تمجيد» قدرة الاعتراض، مقابل تقارير تساءلت عن الإنجاز. وفقاً للاتجاه الأول، أظهرت إسرائيل قدرتها «الفائقة» على اعتراض المسيّرات. وفقاً للاتجاه الثاني، انتقادات واضحة للمقاربة الأولى والتضخيم فيها إذ إنهم «في الجيش الإسرائيلي يدركون جيداً أنهم لم يحبطوا اليوم أي عملية، لأنه لم تكن هناك محاولة لتنفيذ عملية» (القناة 12 العبرية)، ولأن «حزب الله قال عبر المسيّرات إن في إمكانه إرسال مسيرات غير مفخخة، ولكن في إمكانه أيضاً إرسال مسيرات مفخخة تنفجر في سفينة الاستخراج عندما يبدأ العمل فيها، ولدى حزب الله قدرات أكبر بكثير من تلك التي بدت بالأمس، والتي هدفت إلى إرسال رسالة وحسب، من دون التسبب بأضرار» (يديعوت أحرونوت).

هل يقدم الإسرائيلي، بإذن من الأميركي، على خطوات سلبية، سواء كانت سياسية أو عملياتية؟ هل يندفع الطرفان (أميركا وإسرائيل) إلى وقف العملية التفاوضية، علماً أن موقفاً كهذا من شأنه دفع حزب الله للارتقاء أكثر عملياتياً، أم سيقدمان على تعديلات نسبية في المقاربة التفاوضية؟ الأسئلة مفتوحة، وكذلك الأجوبة.

في الموازاة، تنتظر اللبنانيين حملة بدأت بالفعل فور الإعلان عن المسيّرات، تقودها جماعة أميركا في لبنان، مبنية على فذلكة ممجوجة ضد المقاومة: حزب الله يحرم اللبنانيين من ثروتهم عبر استثارة الإسرائيلي ومنع المفاوضات. وهي محاولة قلب حقائق وتشويه تكرّر نفسها ضد أي إنجاز أو مقدمة إنجاز يحققه حزب الله في مواجهة اعتداءات العدو وحماية الثروات اللبنانية من أطماعه. وبدلاً من أن تكون خطوة المسيّرات حدثاً يعزز الموقف اللبناني، يتحول لدى هؤلاء إلى النقيض تماماً، علماً أنه الدور الطبيعي والتقليدي الموكل أميركياً لهؤلاء.

تبقى الإشارة إلى أن إسرائيل تدعو مقابل التهديد القولي، والآن العملي، إلى ضرورة التمسك بالدبلوماسية، وتصف خطوة المسيرات بالتقويضية للعملية التفاوضية والحلول التسووية. فلا تهديدات إسرائيلية ولا «فشخرات»، وهو الأمر اللافت بقوة.

يعود ذلك إلى جملة عوامل تدفع تل أبيب إلى الانكفاء التهديدي. فهي، إضافة إلى أنها لا تريد في الأساس مواجهة مسلحة واسعة ضد حزب الله، أو محدودة من شأنها أن تتحول إلى واسعة، معنية أكثر في مرحلة ما بعد الغاز والنفط وانتشار المنشآت في عرض البحر، بأن لا تتسبب بأي ضرر للبنية التحتية، فوق الماء وتحتها، لغازها ونفطها، بما يشمل الاستخراج والنقل والتخزين في البحر والبر، وهي نقطة ضعف إسرائيلية إضافية يبدو من الصعب الدفاع عنها في زمن الحروب، وربما أيضاً لدى العمليات المركزة المضادة من الخارج.

أيضاً، إسرائيل معنية بأن لا تتضرر بيئة الأمان لمنشآت الطاقة وبنيتها التحتية، وأن لا تكون محلاً للتهديد والسجال حوله، وهو سجال سيتسبب بأضرار غير محصورة، من بينها أن الشركات صاحبة الامتياز ستعاني من أكلاف كبيرة جداً لتأمين المنشآت، وهي أكلاف من شأنها إبعاد الاستثمار وهروبه أو جعل شروطه صعبة على إسرائيل. ناهيك عن أن ضعف عامل الثقة الذي يتغذّى حتى من الإشاعات، يثقل على إسرائيل وعلى الشركات، التي ستواجه ضغط شركات التأمين العالمية وصولاً إلى حد وقف التأمين نفسه، ما يعني، عملياً، وقف عمل المنشآت.

صورة من مقطع فيديو تُظهر لقطات من مسيرة لمنصة FPSO التابعة للشركة «إنيرجيان» في حقل «كاريش» (أفـ ب)

من الغواصة إلى الروبوت... وأسراب المسيّرات

سلاح البحر الإسرائيلي. وبعد تحقيق معمّق وفحص للبيانات والاستخبارات، اتضح أن غوّاصين من قوة النخبة في حزب الله وصلوا، في حالة واحدة على الأقل، إلى منطقة الحدود البحرية وعبروا الجانب الإسرائيلي بهدف فحص التكنولوجيا الإسرائيلية تحت الماء»، وهو يشير إلى أن الجمع الاستخباري البحري منتظم وتقليدي وعلى مدار الساعة، ولا يتعلق فقط بتحضير مسبق وفوري لعمليات تقرر تنفيذها في النطاق البحري. ويمكن القياس على ذلك.

إلا أن ما يبرز في الإعلان، هو الحديث عن القدرات البحرية المرتبطة تحديداً بالوسائل القتالية، وتبدأ من حيازة غوّاصات صغيرة قادرة على الوصول إلى أهداف قريبة وبعيدة نسبياً، وقوارب مطاطية سريعة الحركة والتنقل من حيّز مائي إلى آخر بسرعة معتدّ بها، إضافةً إلى صواريخ بر - بحر، قديمة وحديثة، دقيقة أو أخرى في طور التحول إلى دقيقة، جرى تفعيل عدد منها خلال حرب تموز عام 2006، بواسطة قدرة صاروخية صينية محسّنة، كانت تعد في حينه من الصواريخ ذات الشأن والتأثير، رغم تقادمها النسبي قياساً بالترسانة الموجودة حالياً، كمّاً ونوعاً.

الآن، وفقاً للتقديرات الإسرائيلية، يحوز حزب الله منذ سنوات على صواريخ روسية الصنع من نوع «ياخونت» قادرة على استهداف أي قطعة بحرية إسرائيلية في عرض البحر، مع إصابة دقيقة وقدرة فائقة على التملص من الرادارات. إضافة إلى «ياخونت» لدى حزب الله - وفقاً للتقديرات نفسها - صواريخ بر - بحر من أنواع مختلفة، معظمها إيراني الصنع، أو نسخات محسّنة وتلائم حاجات حزب الله العملياتية، من صناعات إيرانية وغير إيرانية.

> **تخيلوا لو أرسل حزب الله سرباً من 100 مسيّرة نحو ميناء حيفا**

ووفقاً لمنشورات عربية (مركز علما الإسرائيلي)، حدّث حزب الله منذ عام 2006 ترسانته الصاروخية الساحلية مع عشرات القواعد على طول الساحل، و«لديهم مجموعة متنوّعة من القدرات التي تسمح لهم الوصول إلى شواطئ إسرائيل. وهناك تقدير بأن لديهم غواصات إيرانية الصنع صغيرة لنقل المقاتلين. وهم يتدربون أيضاً على استخدام معدّات غوص متطورة لمسافات طويلة قبالة سواحل لبنان على أعماق مختلفة. كما يعرفون كيفية تنفيذ الغارات والاستيلاء على الأهداف البحرية واستخدام العبوات الناسفة وزرع الألغام».

ويبقى الشغل الشاغل للاستخبارات الإسرائيلية، هو توسيع ما أمكن من الكشف والاستعلام الاستخباري عن القدرات الدقيقة التي تعد تهديداً داهماً يفوق أي تهديد عملي آخر تواجهه إسرائيل، سواء بهدف المعرفة والإدراك المسبق لوجه التهديد وماهيته، تمهيداً لاستهدافه إن أمكن، أو للاستعداد لمواجهته لاحقاً إن أمكن ذلك. علماً أن تهديداً كهذا لا يقتصر بطبيعته على وسائل قتالية، تستثنى منها الساحة البحرية، ما يعني أن أي مكان شاطئي في إسرائيل، أو في عمق البحر، بما يشمل المنشآت الغازية والنفطية، هي عرضة للاستهداف بدقة، وفقاً للقرار والإرادة، من لبنان.

وبحسب منشورات عبرية، «وفقاً للتقديرات، لن يتسرّع حزب الله في إرسال مقاتلين إلى معارك مع الجيش الإسرائيلي، إذ إنه قادر على أن يتحكم عن بعد بروبوتات تحتمائية، يمكن أن تهدد السفن ومنصات الغاز». ووفقاً لصحيفة «معاريف»: «تخيلوا لو أرسل حزب الله سرباً من 100 مسيّرة نحو ميناء حيفا. حزب الله قادر على مهاجمة أهداف استراتيجية في إسرائيل بواسطة مئات المسيرات في آن. حتى الآن خبرت إسرائيل وواجهت مسيرات معدودة أتت من سوريا أو من غزة وأيضاً من العراق ومن اليمن. لكن لم نر بعد أسراب المسيرات».

وقال مصدر أمني لـ«معاريف» إن حقل «كاريش» خاص جداً، بنى بعيداً عن حدودنا، وضربه يمكن أن يشل قطاع إنتاج الغاز في إسرائيل. وأضاف: «البعد عنا لمسافة 90 كيلومتراً، خلافاً لحقول غازية أخرى قريبة من الساحل الإسرائيلي، يصعّب علينا حماية هذا الحقل».

استنفار أميركي: تهويل بلا فعالية

شنّت السفارة الأميركية في بيروت، منذ الإعلان عن خبر إسقاط المسيّرات فوق منطقة كاريش، إلى حملة تهويل في لبنان، بدأت بالتواصل مع جهات رسمية لبنانية للاستفسار عما حصل، وللتأكيد بأن تدخل حزب الله بهذه الطريقة يعني أخذ الأمور نحو توتر يهدد المفاوضات. وطلبت السفارة من لبنان إدانة الخطوة رغم علمها أن هذا غير ممكن.

الخطوة التالية تمثّلت في استنفار الجوقة السياسية والإعلامية التي طلب إليها اعتبار ما حصل تصعيداً من حزب الله لأهداف لا تتعلق بمصالح لبنان، وهو ما أشار إليه سياسيون وإعلاميون في الساعات الـ 24 الماضية.

جهات رسمية رفيعة أكّدت لمتصلين أجانب بأن ما حصل ليس أمراً كبيراً مقارنة بكل أعمال الاستفزاز والعدوان التي تقوم بها إسرائيل التي استخدمت الأجواء اللبنانية، قبل ساعات من خروج المسيرات، لقصف أهداف في طرطوس وقالت إنها تخص حزب الله.

ونُقل عن مراجع رسمية أن التهويل الأميركي لا معنى له، وأن لبنان يعرف على أي أرض يقف، وهو لمس في وارد التنازل، وما قامت به المقاومة أمر طبيعي ومتوقع، ويعرف العدو كما الأميركيين أنه سيحصل طالما تأخر الإقرار بحقوق لبنان.

وسمع ممثلو جهات الدولية كلاماً بأنه لا حاجة إلى التهويل، وأن المهم هو الإسراع في إنجاز الترتيبات لعودة الوفود إلى الناقورة لإطلاق عملية التفاوض من أجل التوصل إلى اتفاق على ترسيم الحدود. علماً أن هناك تقديرات بأن خطوة كهذه يمكن أن تتأخر إلى ما بعد زيارة الرئيس الأميركي جو بايدن إلى المنطقة بعد عشرة أيام.

ابراهيم الأمين

المقاومة تدخل المفاوضات على طريقتها

من دون شروحات لا معنى لها، لم تكن المؤسسة الأمنية والعسكرية في إسرائيل في حالة دهشة مما حصل السبت. التقديرات الاستخباراتية لدى العدو كانت تشير بقوة إلى عمل ما يحضر له حزب الله. ربما لم يُفاجأ العدو بالرسالة، لكن السؤال الرئيس كان حول حجم الرسالة وأدواتها وتوقيتها. وتصرف جيش العدو بناء على إشارات بنى على أساسها تقديره الذي اتبعه بإجراءات عسكرية دفاعية واسعة النطاق، ما سمح له برصد الطائرات بعد دخولها الأجواء التي تحيط بالمنطقة، قبل أن يقرّر طريقة التصرف بناء على نوعية الطائرات التي لم تكن من جيل واحد. لكن العدو كان واثقاً إلى حدّ بعيد بأن الطائرات غير مسلحة وليست معدّة لهجوم عسكري.

العدو يقرأ جيداً عقل حزب الله. لكنه يخطئ أحياناً عندما يستمع إلى تقديرات بأن الحزب مقيّد لأسباب، منها ما هو داخلي في لبنان ومنها ما يتعلق بثمن المواجهة. ومع ذلك فإن «العاقلين» في مؤسسات العدو يعرفون جيداً أن خطوة حزب الله مهّد لها علناً قبل أسابيع، عندما حدّد الأمين العام للحزب السيد حسن نصر الله الوجهة بالقول: «إن الهدف هو منع العدو من المباشرة بنشاط استخراج النفط والغاز من حقل كاريش، وعلى العدو أن ينتظر نتيجة المفاوضات. ونحن نملك القدرات لمنعه من العمل في حقل كاريش، وكل إجراءات العدو لن تقدر على حماية المنصات. وعلى السفينة أن لا تتورط في العدوان على لبنان. ويكفي أن نرسل فوقها مسيّرات حتى تعرف ما الذي يجري الحديث عنه. والمقاومة لن تقف مكتوفة الأيدي أمام نهب ثروات لبنان وكنز لبنان. وكل الخيارات مفتوحة ومطروحة أمامها ومن دون أي تردد».

لكن سؤال العدو، وغيره في لبنان والخارج، كان حول التوقيت. وقد اتضح للجميع بأن الخطوة جاءت في سياق الجولة الأولى من المفاوضات «الجديدة» التي قادها الوسيط الأميركي عاموس هوكشتين بين لبنان وكيان الاحتلال. وكان الحزب على صلة تفصيلية بكل الرسائل التي تتنقل بين بيروت وواشنطن وتل أبيب، كما أتيح له الاستماع مباشرة، من جهات غربية، على أجواء الموقف في كيان العدو. وكانت الخلاصة واضحة بالنسبة إليه، وهي أن العدو يناور بدعم أميركي لإجبار لبنان على التنازل عن حقوقه. بالتالي، وجد الحزب نفسه أمام خطوة هدفها الفعلي «تشكيل حدث تأسيسي بما خص الصراع القائم، خصوصاً أن العدو وأميركا بنيا استراتيجيتهما ومواقفهما وخططهما على تقديرات بأن حزب الله مطوّق رسمياً وشعبياً، ويُدفع دفعاً نتيجة الضغط الداخلي إلى الانكفاء والابتعاد عن التأثير في مسار التفاوض. بالتالي، فإن عملية المسيرات ستكون بنداً أولاً في الجولات التفاوضية الجديدة.

ولتوضيح الموقف يجب الإشارة إلى أن حزب الله يناقش الجهات الرسمية حول ملف الترسيم، لكنه ينبه دوماً إلى أن على لبنان التصرف من موقع أنه يملك قوة قادرة على مواجهة التهديدات الإسرائيلية والأميركية. ويوضح لمن يهمه الأمر بأن الحاجة الأميركية والأوروبية إلى الطاقة تحتاج إلى استقرار في كل البحر المتوسط، وهم يعرفون أن أي مواجهة مع إسرائيل ستجعل مياه البحر

> **على لبنان إضافة بند واضح إلى المفاوضات بالسماح للشركات العالمية بالعمل في كل الحقول اللبنانية حتى الحدود مع سوريا**

المتوسط كلها في حالة عدم أمان، وليس بمقدور أحد ضمان الأمن لأي تحرك ملاحي تجاري أو غير تجاري. وحتى إسرائيل لم تكن لتأتي بالسفينة لولا أنها واثقة من عدم حصول تطورات عسكرية. بالتالي، فهي لا تريد الذهاب نحو مواجهة، ما يعني أنها جاهزة ضمنياً للتنازل.

كذلك أكدت المقاومة التزامها الموقف الرسمي لناحية المناطق الاقتصادية في البحر. لكنها قالت صراحة إنه في حال ناور العدو ولجأ إلى الاعتداء على حقوق لبنان، ولم تبادر الدولة اللبنانية إلى إجراءات ردعية واضحة وفعالة، فهي ستبادر إلى ردود تتناسب مع الاعتداءات الإسرائيلية لوقفها وردعها وضمان حقوق لبنان.

وبعيداً من أجواء الهبل التي تسود جماعة أميركا وإسرائيل والسعودية في لبنان، فإن كل من هم في موقع القرار، داخل الحكم أو خارجه، في لبنان وخارجه، حتى داخل العدو، يعرف أن المقاومة تتصرف بواقعية وهي ستقوم بالرد المناسب، ولن يتمكّن العدو من استدراجها إلى أي فخ ينصبه، وهي في الوقت نفسه تتصرف في مثل هذه الحالات على أساس التقدير الأسوأ.

نحن الآن أمام جولة جديدة من المفاوضات بوساطة أميركية، فيما الإيجابية التي حملتها الجولة الأخيرة من التفاوض وما نقله الأميركيون ينحصر عملياً في «أن إسرائيل ترحب بالتنازل اللبناني عن الخط 29 وتبدي استعدادها للعودة إلى مفاوضات الناقورة». وهذا لا يلغي الأجوبة السلبية بعدم إقرار إسرائيل بأن الخط 23 هو خط نهائي، وبأن حقل قانا يتبع بكل ما فيه للبنان. إضافة إلى أن الأميركيين والأوروبيين لم يتطرقوا بعد إلى حاجة لبنان الواضحة لالتزام المجموعة الدولية بمباشرة الشركات العالمية العمل في الحقول اللبنانية وعدم انتظار التسويات الكبرى، وأنه في هذه الحالة ستلتزم المقاومة منع العدو من العمل قبل ضمان حقوق لبنان، ليس في الحدود فقط بل في مباشرة العمل على استخراج الطاقة من هذه المناطق.

عملياً، تفرض استراتيجية لبنان أن يتم سريعاً حسم حقوق لبنان في كامل حقل قانا وفي تثبيت الخط 23، بالتالي الانتقال فوراً إلى مرحلة تعديل جدول الأعمال بحيث يكون هناك بند جديد واضح وجلي يقول إن هذه الاتفاقيات يجب أن تشمل، وبوضوح، حصول الشركات العالمية على تفويض دولي بالقدوم إلى لبنان والمباشرة بالأعمال كما هي الحال في الجانب الآخر، وألا يقتصر ذلك على هذه المنطقة، وإنما إطلاق حريات الشركات العالمية في العمل في كل الحقول اللبنانية الممتدة شمالاً حتى الحدود مع سوريا.

يبقى أن على اللبنانيين التصرف بقلق دائم حيال تصرفات بعض القيادات اللبنانية التي تخشى الأميركيين لأسباب مختلفة. والتوازن مع هؤلاء يقتضي إدراك الجميع بأن واشنطن والعدو يعرفان، بالدليل اللموس، أن خيار التوتر خيار جدي وليس تهديداً في الهواء. مع الإشارة إلى أن الوسيط الأميركي كان سمع عن هذا الأمر لكنه تعامل معه بخفة، إلى أن سمع خلال الاجتماع في القصر الجمهوري كلاماً أكثر وضوحاً ولو اتسم بدبلوماسية، وهو ما قاله نائب رئيس المجلس الياس بوصعب لهوكشتين، بأنه يفترض بالجانب الأميركي العمل على خلق «خط ساخن مع الجهات الأمنية اللبنانية، وتحديداً الأمن العام اللبناني لمواجهة احتمالات فشل المفاوضات وانتقال الجميع إلى مرحلة قد تشهد تطورات غير سياسية». وقد فهم الأميركيون الأمر على أنه رسالة واضحة تقول بأنه في حال فشلت المفاوضات قد نكون جميعاً أمام مواجهة من نوع آخر.

قضية اليوم

أي قاضٍ يجرؤ على توقيف عصابة الطحين؟

(هيثم الموسوي)

تتزامن الحملة التي يشنّها الوزير السابق وائل بو فاعور بشأن «فساد الطحين» مع تسرّب تقرير أعدّه فرع المعلومات يتعلّق بوجود كميات ضخمة من الطحين المدعوم ضبطت في المستودعات منذ شباط الماضي. تقرير الفرع يتضمن آليات النهب بالتفصيل لجهة الأسماء والكميات

رضوان مرتضى

«عصابة» تتواطأ لسرقة الطحين المدعوم لبيعه في السوق السوداء لتحقيق أرباح هائلة. هذا ما يُلمح إليه تقرير لفرع المعلومات من 12 صفحة بشأن نهب الطحين المدعوم. بحسب المعطيات، فإن التقرير يشير إلى ضبط كميات كبيرة من الطحين المدعوم مخبأة في مستودعات في الجنوب والشمال وبيروت. عمليات الضبط بدأت منذ شباط الفائت. أما الناهبون، فكانوا على دراية بأنّ البلد مقبلٌ على أزمة يمكن استغلالها لشراء كميات بالسعر المدعوم وبيعها بسعر السوق. الغريب أنّ القضاء عاود تسليم كميات كبيرة من تلك المضبوطة إلى أصحابها لأنهم عمدوا إلى «تسوية» وضعهم القانوني!

بحسب التقرير، فإن ضباط فرع المعلومات درسوا سلسلة البيع المتصلة بتوزيع الطحين المدعوم لمعرفة دور كل حلقة فيها. فالوزارة تدعم من المال العام استيراد القمح المخصص للخبز العربي بسعر صرف يبلغ 1520 ليرة مقابل الدولار، ويفترض أن توزّع الكميات على مطاحن، ومن هناك يتم توزيعها على الأفران. لذا، السؤال الأساسي: كيف يمكن أن يتلاعب المعنيون بهذه السلسلة ونهب الدعم؟ ما تبيّن لفرع المعلومات، هو أن توزيع الطحين على الأفران يتم بواسطة بونات تستند إلى لوائح معدّة في مديرية الحبوب والشمندر السكري وتتضمن أسماء الأفران وحصص كل منها. وتبيّن للفرع، بعد مراقبة البونات ومساراتها، أن صاحب الفرن يعمد إلى بيعها بدلاً من عجنها وخبزها. إذ إن البيع يوفّر أرباحاً أسرع من صناعة الرغيف بكلفة استهلاكية مرتفعة. فعلى سبيل المثال، يبلغ سعر طنّ الطحين المدعوم (وفق سعر صرف 1520 ليرة لكل دولار) نحو مليونَي و 850 ألفاً أي ما يقارب 1900 دولار، فيما يمكن بيع الطن بما يراوح بين 1000 دولار و 1500دولار نقداً، أي ما يزيد على 40 مليون ليرة.

السؤال الثاني يتعلق بحلقة المطاحن. هذه الأخيرة وعوضاً عن طحن كل الكميات المدعومة لتوزيعها على الأفران، تقوم بإخفاء قسم من الكميات المدعومة لطحنها لزوم استخدام صناعة الحلويات، ما يكسبها الكثير من الأرباح الإضافية أيضاً.

الحلقة تبدأ بالمستوردين من أصحاب المطاحن، وتصل إلى مصرف لبنان ووزارة الاقتصاد ثم تستكمل لدى أصحاب الأفران، ووسط هؤلاء كلهم هناك السماسرة الناشطون في شراء البونات وبيعها. وفي هذا السياق، علمت «الأخبار» أن الوزير السابق وائل بو فاعور اتصل بكل من المدعي العام المالي علي إبراهيم والقاضية دورا الخازن التي تتولى التحقيق في الملف وزوّد إبراهيم بتقرير مفصّل ليل أمس يتضمن أسماء مدراء وموظفين وسماسرة متواطئين في ملف أزمة الطحين. ويتضمن التقرير لوائح تُظهر عمليات توزيع الطحين والنهب اللاحق بها. فعلى سبيل المثال، ليس واضحاً لماذا يحصل الـ wooden bakery على 370 طناً من الطحين، يذهب قسم كبير منها إلى إنتاج الحلويات؟ ولماذا يعدّ «فرن قمرين» من الأفران المحظية لدى الوزير؟ وعلمت «الأخبار» أنّ بو فاعور ضمّن في تقريره اسم كل من شقيق الوزير كريم سلام ومستشاره محمد الحريري.

الإجابة تكمن في آلية النهب المعتمدة. إذ إنّ صاحب الفرن يتقدم بطلب لدى رئيس دائرة التموين حسن حمود، يطلب فيها الكمية التي يحتاجها. يدرس حمود الطلب ليُقدّر الكمية، ثم يُرسل تقريره إلى مدير عام الحبوب في وزارة الاقتصاد جريس برباري الذي يقع على عاتقه إجراء التدقيق اللازم قبل أن يُرسلها إلى الوزير أمين سلام للاستحصال على موافقته. في محطات مختلفة من هذه العملية، تزدحم أرقام الكميات ليتم توزيعها بين أفران محظية وأخرى محرومة تبعاً لحجم العلاقات التي يملكها الشخص أو ارتباطه بالسمسار. وفي هذا السياق، علمت «الأخبار» أنّ التحقيقات كشفت أنّ هناك أفراناً مقفلة تمكنت من الحصول على بونات طحين مدعوم. كما تبين أنّ كميات كبيرة من الطحين المدعوم بدلاً من استخدامها في إنتاج الخبز، تستخدم في صناعة الكرواسان والحلويات.

هنا تُثار الشكوك حول دور مديرية الحبوب. فهل تقوم بوظيفتها لجهة التثبت من استيفاء الأفران الشروط؟ أو للتأكد من الوضعية الفعلية لهذه الأفران وما إذا كانت وهمية أم قائمة وتعمل فعلاً؟ والشكوك أيضاً تثار حول دور الوزير ومستشاريه في الضغط على المديرية، أو التباطؤ في ما بينهم وبين الأفران والمطاحن، ولا سيما أنه من صلب مهام هذه المديرية، بحسب القانون، الإشراف على عمل المطاحن ومراقبة إنتاجها وعمل الأفران والسهر على بيع هذا الإنتاج بأسعار مدروسة ومقبولة. هذا ما يرد حرفياً في نص النظام الداخلي.

> **مغارة وزارة الاقتصاد: أفران مقفلة حصلت على بونات طحين مدعوم**

كما أن هناك معلومات تشير إلى وجود فواتير مضخّمة و«تمريقات» لمطاحن من دون أخرى واستفحال أزمة الطحين، علماً بأن النيابة العامة المالية تتولى التحقيقات: كيف تصدر البونات؟ من يُقرر الكمية الموزّعة؟ من المستفيدون؟ من المتواطئون؟

هذه الأسئلة الأولية بدأ التحقيق فيها بعد الإخبار الذي تقدم به وزير الاقتصاد أمين سلام الذي استمعت القاضية الخازن لإفادته الأربعاء بناء على الإخبار المقدم، ثم عمدت إلى استدعاء كل من جريس برباري وحسن حمود واستجوبتهما لساعات طويلة قبل تركهما. لكن بعيد النظر إلى المسألة من زاوية أوسع، إذ إن فساد المطاحن والأفران والوزارة ليس جديداً. فقد حصل الأمر أيام وزير الاقتصاد سامي حداد، واستمرّ لغاية اليوم من دون أي مساءلة أو محاسبة رغم تحقيقات كثيرة أجريت.

تحقيق

مخالفات اللوحات الإعلانيّة: معركة بين الدولة و«الدولة العميقة»

رضا صوايا

قبل أيام، أصدر وزير الأشغال العامة والنقل علي حمية تعميماً قضى بإزالة كلّ لوحات الإعلانات الموضوعة على الأملاك العامة التابعة للوزارة خلافاً للأصول، وبإعادة تنظيم عملية ترخيصها. التعميم محاولة لضبط الفوضى المستشرية في هذا القطاع، إلا أنها ليست الأولى. فخلال أكثر من عقدين باءت كل المحاولات بالفشل، ولا سيما أن نفوذ الشركات وارتباطاتها مع «الدولة العميقة» والبلديات متشعّبة ومتينة، ما يضع تعميم الوزير أمام تحدٍّ جدّي.

ورد في التعميم أنه «تبين للوزارة أن كلّ الإعلانات الموضوعة على الأملاك الخاصة بوزارة الأشغال العامة والنقل مخالفة لأحكام المرسوم 2015/1302 (الذي ينظم قطاع اللوحات الإعلانية)». وشدّد على «أصحاب اللوحات غير الحائزة على موافقة وزارة الأشغال العامة والنقل وغير المرخّصة من البلدية، المبادرة فوراً إلى إزالتها على نفقتهم ومسؤوليتهم». أما اللوحات المرخّصة من البلدية وغير الحائزة على موافقة وزارة الأشغال فيُعطى أصحابها «مهلة شهرين لتقديم طلب إلى الوزارة ودرسه وإبداء الموافقة من عدمها على إشغال المساحة المطلوبة». ما ورد في التعميم سبق أن تضمّنه المرسوم السابق لتنظيم قطاع اللوحات الإعلانية الرقم 8861 الصادر عام 1996، والذي حدّد في المادة 15 أنه «على أصحاب الإعلانات الذين تكون إعلاناتهم غير قابلة للتسوية... نزعها خلال مهلة شهر من تاريخ إبلاغهم بذلك وإلا فإنها تُنزع على نفقتهم ومسؤوليتهم». مات هذا المرسوم واستبدل عام 2015 بمرسوم جديد رقمه 1302 وتضمّن أن «توجّه الإدارة المعنية إلى أصحاب اللوحات المخالفة كتاباً بوجوب إزالة المخالفة في مهلة 10 أيام تحت طائلة إزالة الإدارة المخالفة على مسؤوليتهم ونفقتهم». لكنّ شيئاً لم يحصل أيضاً. شركات الإعلانات واجهت تعميم الوزير بالتشكيك. «لا الوزير ولا أحد من الوزارة تواصل معنا. لا نفهم أبعاد القرار وخلفياته. هل الهدف إلهاء الناس بقضايا جديدة عوض الأمور الحياتية الضاغطة؟ فساعة موضوع المئتين وساعة الإعلانات»، بحسب رئيس نقابة أصحاب وكالات الدعاية والإعلان جورج جبور.

في المقابل، يعتبر حمية أن «الناس اعتادوا مخالفة القوانين، وأي محاولة لتطبيقها تواجه دائماً بالشكوك. قراري متخذ منذ ما قبل الانتخابات النيابية لكنني فضلت التريث في إصدار التعميم كي لا أُتهم بالتأثير على الحملات الانتخابية. وفي ظل حكومة تصريف الأعمال أصبح هنالك وقت أكبر لتنظيم عمل الوزارة، ولذلك قمت بمراجعة المراسيم التي لم تُطبق وتبين لي أن المرسوم 1302 لم يُنفذ. هذا حجم الموضوع».

ينفي حمية وجود أي نوايا مبيّتة، «فلو كان هذا الادعاء صحيحاً هل كنا منحنا الشركات مهلة شهرين لتسوية الأوضاع؟ المرسوم في الأساس لا يمنح أي مهلة ويطلب إزالة المخالفات فوراً. هدفي ليس إزالة اللوحات بقدر ما هو تنظيم القطاع والحفاظ على السلامة العامة. هل يعلم المواطنون على سبيل المثال أنه يجب أن يكون لكل لوح إعلانات عقد تأمين؟ في كل مرة يقع لوح لا يعوض على المتضررين. ماذا لو وقعت لوحة في ملك وزارة الأشغال؟ من سيتحمل المسؤولية. الوزارة؟».

في الظاهر قد تبدو مشكلة اللوحات الإعلانية مسألة تقنية تعالج بالالتزام بالمعايير الفنية التي يحددها المرسوم 1302. إلا أن المعطيات على أرض الواقع أكثر تعقيداً. فعلى مدار عقود استفاد أصحاب الشركات من علاقاتهم مع النافذين في السلطة والأحزاب ورؤساء البلديات لزرع اللوحات الإعلانية من دون حسيب ولا رقيب، استناداً إلى حصص وسمسرات وعمولات. حتى إن بعض المناطق كانت ولا تزال حكراً على عدد من الشركات المرتبطة بقوى الأمر الواقع والأحزاب النافذة فيها.

هذه حقائق لا ينكرها جبور، إنما يشير إلى أن «كل شركات الإعلام والإعلانات حصلت على تراخيص وامتيازات وحقوق من خلال الدعم السياسي الذي وفّره الجميع دون استثناء. ومن يخرقون القانون يخرقونه تحت غطاء محميات سياسية». لذا، يستغرب أصحاب شركات الإعلانات رمي مسؤولية المشكلة على الدولة والبلديات، «فعلى أي أساس كانت البلديات تمنح التراخيص إذا كانت مخالفة للقانون؟ هل ستجري محاسبة رؤساء البلديات وكل المتواطئين وفتح الملف على مصراعيه؟» يتساءل أحد أصحاب شركات الإعلانات، داعياً الوزير إلى «معالجة المشكلة مع البلديات. فإذا منح أحد أصحاب اللوحات الإعلانية ترخيصاً لوضع لوحة في ملك وزارة الأشغال، وعادت البلدية ومنحت شركة أخرى ترخيصاً في المكان نفسه بشكل لا يراعي شروط المسافة المحددة في المرسوم، من يكون مسؤولاً في هذه الحالة؟».

(هيثم الموسوي)

يرفض حمية هذه الذرائع، إذ إن «المرسوم في المادة 7 منه يشير بوضوح إلى أنه في حال كانت الأرض ملكاً لإدارة عامة يتوجب على صاحب اللوحة الإعلانية أن يرفق بالملف موافقة الإدارة العامة المعنيّة». ويؤكد تصميمه على السير في خطوته حتى النهاية، إذ إن «نحو 80% من اللوحات الإعلانية على أملاك وزارة الأشغال غير قانونية. وفي حال عدم الالتزام سألجأ إلى القضاء. علماً بأن الوزارة لا تستفيد بأي قرش من هذا التعميم. العائدات تعود للبلديات. وقد تواصلت مع وزير الداخلية الذي أبدى تجاوباً تاماً وأبلغني بأنه سيعمم على البلديات ضرورة الالتزام بالتعميم وتطبيق القانون». وإلى العوائق السياسية، تبرز أيضاً عوائق عملية ومادية لتطبيق التعميم. فعدد اللوحات الإعلانية هائل، «وقد بلغ عام 2019 قبل بداية الأزمة نحو 16 ألف وجه (اللوحة قد تكون بوجه أو وجهين). ولا نملك أرقاماً دقيقة عن نسبة اللوحات القانونية وغير القانونية» وفقاً لجبور. فيما بلغت أحد أصحاب الشركات إلى أن «إزالة اللوحات المخالفة عملية مكلفة للغاية. إزالة كل لوحة يكلف ما لا يقل عن 1500 دولار فريش. الونش وحده يكلف 400 إلى 500 دولار، إضافة إلى أجرة العمال وكلفة إيجار مستودع لوضع الحديد. بالتالي فإن المهلة الزمنية قصيرة والمسار يتطلب أكثر من شهرين».

> **كل الشركات حصلت على تراخيص وامتيازات من خلال دعم سياسي**

ويؤكد رئيس نقابة أصحاب وكالات الدعاية والإعلان أن «تنفيذ التعميم سيضرب القطاع الذي تراجعت أعماله من 50 مليون دولار عام 2018، إلى مليون دولار حالياً إذا استثنينا نفقات الحملات الانتخابية التي انعشته قليلاً». علماً بأنه «لا مصلحة للبلديات في تطبيق التعميم. فإضافة إلى الارتباطات السياسية، تحقق صناديقها عوائد ضخمة من اللوحات الإعلانية «لا تقلّ نسبتها عن 15% إلى 20%» بحسب مصادر الشركات.

علم وخبر

موناكو تحقق في اموال ميقاتي

تجري إمارة موناكو تحقيقات جديدة حول ملفات مالية تخص الرئيس نجيب ميقاتي وتتعلق بإدخال كميات كبيرة من الأموال النقدية إلى الإمارة. علماً أن ملفاً أرسل من لبنان إلى السلطات القضائية في موناكو يتعلق بتحقيقات أخرى تجريها القاضية غادة عون.

سفارات أجنبية تساعد العملاء

يجري التدقيق في لبنان في احتمال حصول تعاون بين سفارات أجنبية في بيروت وبين الاستخبارات الإسرائيلية لتسهيل حصول عملاء على تأشيرات سريعة لزيارة هذه البلدان ولقاء مشغّليهم فيها. وقد تعزّزت الشكوك بعدما اكتشفت السلطات الأمنية التركية أن القنصلية السويسرية في إسطنبول سهّلت لعملاء الموساد الحصول على تأشيرات لمجندين غرب. وبيّنت التحقيقات أن مشغلي العملاء يتخذون من عواصم أوروبية غربية وشرقية مقرات لعملهم، تفادياً للاتصال من تل أبيب.

تلفزيونات رياض سلامة

خمسة محطات تلفزيونية لبنانية حصل كل منها على 16 مليون دولار بين العامين 2016 و 2017 ضمن برنامج قروض لدعم الإنتاج الوطني بناء لتعميم أصدره حاكم مصرف لبنان رياض سلامة، تبيّن أنها لم تستخدم القروض لتطوير الإنتاج، بل جمّدت الأموال في حسابات خاصة بالاتفاق مع ثلاثة مصارف ما أمّن للمحطات مبالغ كبيرة عائدة من الفوائد. ويجري البحث في معاقبة المصارف التي تورطت في العملية، لكن من دون محاسبة أي مسؤول في المصرف المركزي أو في إدارات القنوات الخمس.

نواب زحلة «يتوحدون»

خصص رئيس بلدية زحلة أسعد زغيب مكتباً في البلدية لاجتماعات نواب قضاء زحلة. وقد عقد اجتماعاتٍ حتى الآن حضره نائبا القوات جورج عقيص وإلياس إسطفان ونائبا التيار الوطني الحر سليم عون والطاشناق جورج بوشكيان والنائب المحسوب على فؤاد السنيورة بلال الحشيمي إضافة إلى النائب المستقل ميشال ضاهر لمناقشة حاجات البقاع الإنمائية والاجتماعية. ولم يعرف ما إذا كانت الاجتماعات مجرد فولكلور أم عمل منظم وجدي. علماً أنه لوحظ في المرتين غياب نائب حزب الله رامي أبو حمدان.

الداوود يحضر للانتخابات 2026

إثر حصوله على عدد كبير من الأصوات، نظم المرشح الخاسر عن المقعد الدرزي في دائرة البقاع الغربي- راشيا طارق الداوود احتفالاً كبيراً في بلدة حلوة قضاء راشيا لافتتاح خلوة الشيخ نسيب بك الداوود في حضور حشد كبير من المشايخ الدروز. وخلافاً لغالبية المرشحين الخاسرين، ينشط الداوود في القضاء ويكثف عمله اليوم أكثر من الفترة التي سبقت الانتخابات.

حق الرد

نحن الشيخ رياض الضاهر (أبو زيدان)، من وجهاء عشيرة زريقات في خلدة، نود أن نوضح أن ما جاء في «الأخبار» (24 حزيران 2022) في تحقيق حول عشائر خلدة، أشار إلى أن أبناء العشائر العربية كانوا يتمركزون سابقاً في خلدة ويقطنون الخيم ويربون المواشي. يهمّنا أن نوضح أن هؤلاء ليسوا من أبناء العشائر العربية بل من النُّوَر (الغجر) الذين سمحنا لهم بالبقاء داخل أراضينا، أما نحن فكنا نسكن المنازل بالقرب من مثلث خلدة، قبل أن تأخذ الدولة 25% من أملاكنا مما اضطر بعضنا إلى تشييد المباني والسكن عند تلال خلدة.

قضية

أحمد وحسن، شابان من المنية وبينين، اختارا المغامرة بحثاً عن مستقبل أفضل. أحدهما وصل إلى ألمانيا قبل سبع سنوات، فيما ينتظر الثاني في اليونان طريقة تنقله إلى إيطاليا. روياتهما لرحلة الهجرة غير الشرعية قد تبدو مشجّعة للبعض، لولا أن التذكير واجب بمئات الضحايا الذين ابتلعهم البحر

موسم الهجرة من الشمال
أنت وحظّك

محمد ملص

هي الهجرة الوحيدة في العالم التي تكاد تخلو من موسم محدّد لها، ففي كلّ يوم وساعة ودقيقة، يستعدّ المئات من اللاجئين السوريين ومعهم آلاف اللبنانيين للصعود إلى أحد المراكب بغية الهجرة نحو شواطئ قبرص ومنها نحو أرض الأحلام في أوروبا. وكما يوجد مختصّون بالطب والتجارة والهندسة، بات يوجد في عكار متخصّصون في تهريب المهاجرين غير الشرعيين، عبر مراكب صيد غير شرعية، وغير صالحة لتلك المهمة أصلاً، إلا أنها باتت السبيل الوحيد المتاح أمام هؤلاء، من دون أيّ حسابات للمخاطر التي تخبّئها لهم عتمة البحار. المهرّبون باتوا معروفين بالأسماء، والأمكنة، يقصدهم عشرات الشبّان والعائلات ممن يريدون الهجرة، تُسجّل الأسماء وتُدفع الأموال مقابل تجهيز المركب وتحضيره وتزويده بالمحروقات، فيما على الرأس المدبّر أن ينتقي نقطة لتجمّع المسافرين، بعيدة عن عين الأمنيين، وغالباً ما يكون الإبحار ليلاً. يشجّع كلّ هؤلاء أن هناك من سبقهم ونجح.

> مراكب الصيد غير المخصّصة لقطع مسافات طويلة تهدّد حياة المهاجرين

إلى تركيا جوّاً

في عام 2015، وعقب حركة الهجرة اليومية لآلاف النازحين السوريين نحو تركيا، شهد مرفأ طرابلس، ومطار بيروت، خروج آلاف اللبنانيين نحو تركيا للانطلاق منها إلى أوروبا. أحمد (35 عاماً) أحدهم، الذي يختار قبل أن يروي تفاصيل رحلته من المنية إلى ألمانيا، التي استمرّت 29 يوماً، أن يسرد تفاصيل عن حياته المملّة في لبنان قبل هجرته "بعد حصولي على شهادة القسم الثاني وضعت نصب عينيّ السفر، تقدّمت إلى أكثر من سفارة ولم أنجح في الحصول على تأشيرة... بقيت سبع سنوات أحاول إلى أن أتت الفرصة واغتنمتها في عام 2015. غادرت لبنان عبر مطار بيروت، نحو تركيا. هناك عليك أن تبحث عن مركب للعبور إلى اليونان. لم يكن الأمر صعباً، بمجرد وصولك إلى تركيا، وتحديداً منطقة أزمير، تجد المهرّبون منتشرين بالمئات. ركبنا قرابة 80 شخصاً في باص يتّسع لـ20 واتجهنا نحو الشاطئ التركي. بعدها وجدت نفسي في مركب يُفترض أن يتّسع لقرابة 35 شخصاً، إلا أن المهرّب حمّله نحو 50، أما الرحلة التي أخبرنا أن مدّتها ساعة ونصف ساعة، فاستمرت قرابة الـ7 ساعات حتى وصلنا إلى اليونان".

يتابع: "أعطتنا السلطات اليونانية أسبوعاً واحداً لمغادرة البلاد، انطلقنا بعدها، معتمدين على الـGpS نحو الحدود المقدونية، قطعنا 40 كيلومتراً سيراً على الأقدام. الأراضي المقدونية مليئة بالمخاطر، حيث تنتشر العصابات وقطّاع الطرق في الغابات فضلاً عن الصقيع القارس. استغرقت الرحلة من مقدونيا إلى صربيا 17 يوماً من السير على الأقدام. النقطة الأصعب كانت عند وصولك إلى هنغاريا، أولى دول الاتحاد الأوروبي، التي تفرض على المهاجرين أن يبصموا تنفيذاً لاتفاقية دبلن على أن تتحمّل الدولة مسؤولية من يبصم لديها أو يحصل على فيزا شنغن من سفارتها أو يعبر بها. بعدما تجاوزنا هذا الأمر، كانت الرحلة الأسهل من بودابست إلى النمسا وصولاً إلى ألمانيا والتي كلّفتني 500 يورو دفعتها لسائق الأجرة".

7 سنوات قضاها أحمد في ألمانيا، استحصل خلالها على شهادة تمريض، وبدأ العمل داخل أحد المستشفيات. يقول: "زرت أهلي مرتين منذ أشهر في لبنان، أصبحت أحدهم، غادر منطقته بين في عكار قبل أسبوعين مستقلاً المركب الذي خرج من مرفأ العبدة ووصل إلى اليونان. يروي لـ"الأخبار"، من اليونان، أن عدد الركاب كان 80 شخصاً "غادرنا تحت جنح الظلام، استغللنا إطفاء الأنوار عند مرفأ العبدة، وتجاوزنا النقاط الأمنية المخصّصة للجيش اللبناني، والتابعة للبحرية اللبنانية".

وعن الأسباب التي دفعته لركوب المخاطرة يقول: "شغل مافي، باسبور ما قدرت طلّع، ليش بدي ضل بهالبلد... كما أن السفر الشرعي يتطلّب شروطاً لا تتوفر في الكثيرين ممن يرغبون بالمغادرة مثل المال والشهادات الجامعية، لذلك لم يعد أمامنا من منفذ سوى ركوب أمواج البحر. كلّ ما نمرّ به من صعوبات معيشية واقتصادية، يجعل ركوب البحر بكل مخاطره أهون من البقاء هنا".

وجهة حسن لم تكن نحو تركيا، إذ تتشدّد الأخيرة في مراقبة عمليات التهريب، فيما تؤكّد مصادر أمنية أنه لا يزال هناك عشرات اللبنانيين ممن يغادرون لبنان عبر مرفأ طرابلس أو مطار بيروت نحو تركيا، ومن هناك يلجأون إلى المعابر غير الشرعية والتي لا تزال ناشطة وعمليات التهريب نحو أوروبا مستمرة.

وعن المخاطر التي يتعرّض لها المهاجرون ممن يقصدون أوروبا مباشرة، يقول حسن إن بعضها يكمن في أن "نوعية المراكب، غير مخصّصة لقطع كل تلك المسافات الطويلة، بالإضافة إلى ما تحويه من حمولة زائدة (ركاب، محروقات، أمتعة شخصية، طعام...)، كلّ ذلك يعرّض حياة المهاجرين للخطر. هذا ما حصل مع المركب الأخير الذي غادر مرفأ العبدة، إذ تعطّل مهدّداً حياة من عليه، ما دفع بسائقه إلى التوجه نحو زورق تابع للبحرية اليونانية لإنقاذهم من الغرق".

حسن موجود الآن داخل أحد المعسكرات المخصّصة للاجئين لدى الشرطة اليونانية. يقول: "أخبرتنا السلطات اليونانية أن لدينا أسبوعاً كاملاً لمغادرة أراضيها، لكننا لن نعود إلى لبنان، نريد الوصول إلى إيطاليا".

ويؤكد حسن الخبر المتداول عن أن المركب الذي انطلق من مرفأ العبدة، كان على متنه عدد من عناصر الجيش اللبناني مع عائلاتهم. مصادر خاصة أكّدت للأخبار: "أن هروب العسكر بهذه الطريقة سيعطي حافزاً إضافياً لمزيد من العساكر للهروب، خصوصاً أن الأوضاع المعيشية التي يرزحون تحتها تدفعهم إلى تسهيل مرور المراكب عبر النقاط الأمنية. في المقابل تتحفّظ الأوساط العسكرية عن ذكر تفاصيل العملية، مؤكدة أن "الموضوع ما زال قيد التحقيق".

المغامرة أفضل من البقاء (أرشيف ــ مروان طحطح)

تربية

المدارس تُحرج الأهالي ولا تُخرجهم: التلامذة رهائن!

يطالب الأهالي بتقديم شكوى إلى مصلحة التعليم الخاص (مروان بو حيدر)

فاتن الحاج

لم يطلب الأستاذ الجامعي من مدرسة الراهبات في النبطية أكثر من إعطائه المعدّل العام لابنه، للتأكد من إعفائه من امتحان الدخول «المدفوع» في المدرسة الخاصة الأخرى التي سينتقل إليها، إلا أن رفض إدارة المدرسة كان بالمرصاد، إذ اشترطت تسديد كامل القسط والزيادة بالدولار الأميركي قبل الإفصاح عن أيّ معطى في الملف. «انتزعنا المعلومة بعد جهد جهيد وبشقّ النفس»، كما يقول، علماً أنه تعهّد للمدرسة بأنه لن يهرب وسيدفع متوجّباته بعد الحصول على المنحة التعليمية في بداية تموز، وهذا كان دأبه دائماً، كما يقول، وهو، في الواقع، حال معظم موظفي القطاع العام الذين غالباً ما يعتمدون على المنحة لتسديد الدفعة الثالثة من القسط المدرسي.

الأولاد وقود النزاع

لا تتوقّف إدارات بعض المدارس الخاصة عن استخدام التلامذة وقوداً في «الحرب» المفتوحة مع أهاليهم، بما يخالف المادة 10، الفقرة ب من القانون 1996/515 (قانون تنظيم الموازنة المدرسية) التي تحمي الأولاد من أيّ نزاع قد ينشأ مع المدرسة. في السابق، لم تتوانَ مدارس «عريقة» عن حجب الإفادات المدرسية و«احتجاز» الصغار وعزلهم في قاعات مغلقة بسبب اعتراض أولياء أمورهم على الزيادات العشوائية وغير المبرّرة على الأقساط المدرسية. وليس آخر التهديدات شطب أسماء التلامذة الذين يتأخرون عن دفع بدعة «المساعدة المالية» الإلزامية بالـ«فريش دولار» من قائمة الأجدة الـ«أونلاين» حيث تُدرج الدروس والفروض المنزلية.

العلامات للميسورين فقط

أخيراً، أبلغت إدارة مدرسة دير مار شربل الجية الأهالي، في رسالة نصية، بأن «بطاقة العلامات سوف تصلهم على برنامج Eduflag فقط للعائلات التي سدّدت كامل القسط السنوي عن العام الدراسي 2021 ـ 2022، صباح الخميس 30 حزيران لقسم الروضات، وصباح يوم الإثنين 4 تموز لباقي الأقسام. أما الذين لم يسدّدوا، فيُطلب إليهم الحضور إلى المدرسة لمراجعة الإدارة». ليست المرة الأولى التي تحجب فيها المدرسة العلامات عن التلامذة الذين لم يسدّد ذووهم الأقساط، كما تقول مصادر لجنة الأهل، إذ سبق أن فعلت ذلك في الفصل الثاني، ودخل مدير القسم الابتدائي الصفوف، ليقول للتلامذة: «من لم يحصل على بطاقة العلامات هو من لم يسدّد أهله القسط، وقد عاد الأطفال إلى منازلهم والدموع في عيونهم».

وأشارت المصادر إلى أن لجنة الأهل لم توافق على موازنة العام الدراسي الأخير 2021 ـ 2022 وقدّمت اعتراضاً عليها في مصلحة التعليم الخاص في وزارة التربية، وكل ما تتحدّث فيه إدارة المدرسة عن زيادات على القسط بالليرة اللبنانية والدولار الأميركي هو غير قانوني. ولفتت المصادر إلى أن الإدارة تحاول أن تستميل بعض أعضاء لجنة الأهل إلى جانبها عبر إعطائهم حسومات وتسهيلات في الدفع.

رفضت إحدى الأمهات، وهي عضو في لجنة الأهل في مدرسة الليسيه عبد القادر، التابعة لمؤسسة الحريري، الإدلاء بأيّ موقف بشأن احتجاز الإفادات الذي تحدّث عنه عدد من أولياء الأمور، مكتفية بالقول إن المسائل تُحلّ بين الإدارة وكل وليّ أمر على حدة، وإنها شخصياً تتابع قضية أبنائها مع المدرسة مباشرة وعبر القنوات الرسمية وليس هناك

> مصلحة التعليم الخاص ملزَمة بتسهيل انتقال التلامذة من مدرسة خاصة إلى أخرى

ما يمكن أن تدلي به إلى الإعلام. أما رئيسة اتحاد لجان الأهل وأولياء الأمور في المدارس الخاصة، لمى الزين الطويل، فأكدت «أن ما تقوم به بعض إدارات المدارس الخاصة مرفوض جملةً وتفصيلاً، فالتجاوزات غير القانونية، إن لجهة دولرة الأقساط أو حجب أوراق العلامات والإفادات عن الطلاب هي هرطقة لا تمتّ إلى الأخلاق التربوية بصلة، ويتحمل مسؤوليتها كلّ المعنيين»، إذ طالبت وزير التربية، عباس الحلبي، «باتخاذ كل الإجراءات لحماية أطفالنا». كما دعت جميع الأهالي ممن يتعرّض أولادهم لهذا الظلم أن يتقدموا بشكوى إلى مصلحة التعليم الخاص، وأن يتواصلوا مع الاتحاد للمتابعة.

«اتركونا ناخذ نفسا»

«هي وسيلة موجعة تضطر إدارات المدارس لاستخدامها، بعدما تُركت لمصيرها تواجه الأزمة وحدها بلا دولة أو قانون يحميها»، هذا ما قاله الأمين العام للمدارس الإنجيلية، نبيل القسطا، لافتاً إلى أن المدارس تختنق وتصارع للاستمرار، وفيما تحاول أن تأخذ «نفساً» لمواصلة تأمين الخدمة التربوية، تُشنّ حملة واسعة ضدها على خلفية فرض 200 أو 400 دولار. وقال إن كلفة المازوت وحدها في المدارس الإنجيلية بلغت 110 آلاف دولار «على الورقة والقلم»، فيما قدّمنا وغيرنا من المدارس الكثير من التسهيلات للعائلات. ولدى سؤال القسطا عن أن المادة 10 من القانون 515 تمنع المدارس من استخدام التلامذة وقوداً في النزاع، سأل: «فهل هذه المادة تفرج عن 10 آلاف دولار لنا في البنك؟». وأضاف: «دعونا نقطع هذه المرحلة بسلام وأن نتفاهم مع الأهل بصدق وشفافية. فهذه آخر خرطوشة».

حلول مصلحة التعليم الخاص

رئيس مصلحة التعليم الخاص، المدير العام للتربية، عماد الأشقر، حدّد، في اتصال مع «الأخبار» إدارات المدارس من أخذ الطلاب رهائن، مشيراً إلى أنه ليس هناك مسوّغ قانوني يسمح بزيادة الأقساط بالدولار الأميركي. وقال إن المصلحة ستكون ملزمة بتسهيل انتقال التلامذة من مدرسة خاصة إلى أخرى يختارها وليّ الأمر، في حال حجز الإفادة أو العلامات، بما يخالف أحكام المادة 10 التي تمنع إدارة المدرسة من استخدام الأولاد في النزاع مع الأهل.

علّه صوتك

خوّات المدارس الخاصة

زينو حرب*

ما تقوم به إدارات المدارس الخاصة من ابتكار بدع و«هرطقات» لا أساس قانونياً أو علمياً لها يهدف إلى الضغط على أولياء الأمور للحصول على أموال بصورة غير مشروعة. وجديدها استحداث صناديق مساعدات إلزامية! ومن خارج الموازنات المدرسية، وبـ«الفريش دولار»، فيما اعتمد البعض منها دولرة القسط بالكامل، واختار البعض الآخر النموذج المختلط.

اعتماد أي نموذج من هذه النماذج هو سيان، فما تقوم به إدارات المدارس من التحديد المسبق لأقساط العام الدراسي المقبل هو لغو لا يستند إلى أيّ مسوّغ شرعي أو قانوني، لأن الأقساط تحدّد إما أواخر الفصل الدراسي الأول، وقبل نهاية العام وفق آلية ينصّ عليها قانون الموازنات المدرسية، وتستوجب موافقة لجنة الأهل عبر الهيئة المالية فيها، أو رئيس اللجنة مع الهيئة المالية للمدرسة، بعد دراسة أرقام الموازنة بشكل علمي ودقيق. وبالتالي، فالقاعدة تقول «لا زيادة على الأقساط إلا وفق قانون الموازنة».

ما تُقدم عليه إدارات المدارس، وعلى مرأى ومسمع من جميع المعنيّين، يشكل خرقاً فاضحاً لقانون الموازنات المدرسية 515/96، ولقانون النقد والتسليف. فقانون الموازنات المدرسية لم يلحظ في أي من نصوصه بنداً يتضمن السماح لإدارات المدارس إنشاء صناديق (إلزامية)، وبالدولار الأميركي. مبدأ حق المدين في الإيفاء بالليرة اللبنانية مكرّس في نصوص قانونية متفرّقة أبرزها المادة السابعة من قانون النقد والتسليف، التي تعطي الأوراق النقدية قوة إبرائيّة غير محدّدة في أراضي الجمهورية اللبنانية، والمادة 192 منه تعاقب كل من يمتنع عن قبول العملة اللبنانية وتحيل المادة 319 من قانون العقوبات المفروضة في هذه الحالة.

هذه المواد تتعلّق بالنظام العام، وتحديداً النظام العام الاقتصادي والمالي الهادف إلى حماية العملة الوطنية، ولا يمكن الاتفاق على مخالفتها، وإلا كان الاتفاق باطلاً. وبالتالي لا يمكن فرض الدفع بالعملة الأجنبية. أو فرض صناديق تحت عناوين المساعدات من دون وجود نص قانوني صريح وواضح يسمح بإنشائها أو استحداثها.

وحده اتحاد لجان الأهل يقف سدّاً منيعاً دفاعاً عن حقوق الأهل، حاملاً لواء العدالة لثالوث العائلة التربوية الأهل والأساتذة والمدارس.

إزاء ما تقدّم، على كل متضرّر أن يلجأ إلى القضاء لوقف هذه الخوّات، فهل يفعلها أولياء الأمور وينكسر جدار الصمت والخوف؟

*عضو المنسقيّة القانونية في اتحاد لجان الأهل وأولياء الأمور في المدارس الخاصة

رسالة

إلى ولدي الذي فاته أن يكون مقدَّساً!

أم كلثوم السبلاني *

اليوم يا ولدي لم تحمل بطاقة تفوّقك، ولم يلتقط لك أحدٌ صوراً تذكاريّة وأنت تتأبّط شهادة تقدير مطبوعة بعناية، ومزركشة بشتّى عبارات الفخر والإعجاب. لم يذكرك أحد. لم يشكرك أحد. لم تخطر على بال أحد. بل غبت، أنت وكلّ رفاقك الذين لم يُكتب لهم "التفوّق" عن بال المعنيين، فلم تُوزّع عليكم بطاقات تشجيعية فيها كلمة مديح واحدة، واحدة فقط، ولا حتّى "نصف ربع ثناء" على سمة إيجابيّة فيكم على صغر سنّكم... ولا كلمة تمنّ لكم بدوام التوفيق والنجاح كتلك التي دُيّلت بها شهادات المتفوّقين، وكأنّ هذا النوع من الأدعية يُذكر حصراً للمتفوّقين ولينذهب الآخرون إلى الجحيم... شعرت إثر ذلك بأنّك ربما كنت، ومن حيث لا أدري "زومبي" المدرسة أو "كوازيمودو" الديمنة.

أتعلم لماذا لم يحصل كلّ ذلك يا ولدي؟ لأنّ أحداً غير أمّك الولهى لم يرَك طوال عامك الدراسي تنام فوق دفاترك وكتبك من التعب. ولأنّ أحداً لم يرَ طفولتك التي حوّلها النظام التعليمي غير العادل إلى كهولة، فَمَن غير المستّين يعيشون رتابة مُقيتة كتلك التي كنت تعيشها؟ تعود من مدرستك بعد يوم دراسي مرير (على الأقل لك)، لـ"تزلط غداءك زلطاً"، وتتأهّب لمداهمة الحقيبة الملأى بشتى صنوف التكاليف: أمال، مسائل رياضيّة، نسخ، حفظ، اختبارات، محفوظات إلخ. تظلّ هكذا حتى يهبط الليل، تتوسّل الوقت لمشاهدة التلفاز أو للعب الكرة أو لممارسة أيّ مظهر من مظاهر الطفولة، لكنّ الفرح محرّم على الأطفال "المتعثرين"، لأنه، وبحسب "روشيتة" التكاليف المرسَلة، والتي بمعظمها لا تراعي الفروقات الفرديّة والقدرات الذهنيّة للطلاب، يتعيّن عليك البقاء ساهراً إلى آخر الليل لإنجازها، فتنام على "طبابات وجهك" مفكّراً في ما ينتظرك من استيقاظ مبكر مع ساعات الفجر الأولى لإتمام ما "انكسر عليك" من واجبات. تحين السّابعة صباحاً، فتتناول فطورك بطريقة "الرَّكْط" أيضاً وتهرول إلى المدرسة حاملاً حقيبةً يساوي وزنها نصف وزنك.

لم يحصل لك ما حصل لأقرانك "المتفوّقين" لأنّ أحداً لم يرَ الدمعة والحيرة واليأس في عينيك عندما كنت تعود أدراجك عند الظهيرة حاملاً أوراق الاختبارات التي من المفترض أنها ستعكس ما بذلته من تعب وجهد، وقد كُتب على مقدّمتها باللون الأحمر وبخطّ استعراضي طويل عريض عبارات مثل: "ركّز أكثر. عليك بمضاعفة جهودك، ما هذه العلامة، انتبه أكثر". وتتبع تلك العبارات درزينة من علامات التعجب والاستفهام دَرَزتها المعلمة درزاً على ورقتك تعبيراً عن غضبها لأنك أضعت تعبها!

لم يثنِ أحد عليك في نهاية العام لأن كلّ هذا "العدو الماراثوني" الذي أرهق أصابعك الغضّة وأتعب كاهلك الطريّ لا قيمة له ما لم تحصل على الفئة "أ" المقدّسة!

لا تحزن يا بنيّ. غداً، سأزيّن لك بنفسي شهادة تفوّق، وسأكتب لك فيها: "يسرّ والدتك أن تبارك لك القدرات التي منحها الله إيّاها وتهنّئك على كلّ ذرّة جهد بذلتها وعلى الأيام والليالي التي قضيتها لتثبت لنفسك ولي ولعلميك ولأقاربك وللجيران ووو... بأنّك أهل للتفوّق والتميّز والتكريم". لكنك عجزت عن ذلك لأنك تمتلك نوعاً آخر من القدرات التي لا تلحظها تقييمات بني البشر، وسأبتاع لك من متجر الألعاب -علاوةً على الهدية التي وعدتك بها أياً كانت نتيجتك- غيمتَين، واحدة لتحمل نحو السّماء أحلامك المستقبليّة التي لطالما حدّثتني عنها، فتظل بذلك نقيّة سليمة كقلبك الطاهر وفطرتك السليمة، وأخرى لتبكي على حال التربية والتعليم في بلادي.

* كاتبة وباحثة تربوية

قضية

مبادرة إيرانية لِلَمّ الشمل: سوريا ـ تركيا على طريق المصالحة؟

ترجمت طهران رسميّاً مبادرتها لرعاية عملية تصالحية بين دمشق وأنقرة، على أرض الواقع من خلال زيارة وزير خارجيتها، حسين أمير عبد اللهيان، إلى دمشق، وحمْله مقترحات إيرانية تدعو إلى ضرورة تفعيل التنسيق بين الجانبين، لتجنيب المنطقة تصعيداً ميدانيّاً إضافياً، ومنْع وقوع عملية عسكرية تركية جديدة، في مقابل مراعاة كلّ طرف لهواجس الطرف الآخر وبما يضع الأساس لمصالحة تدريجية، تُنهي أكثر من عقد من الخلافات والعداء بين البلدين.

أكد عبد اللهيان أن جزءاً من زيارته إلى دمشق «يهدف إلى إحلال السلام والأمن في المنطقة بين سوريا وتركيا» (أ ف ب)

أيهم مرعي

بعد أربعة أيّام من زيارته إلى تركيا، حطّت طائرة وزير الخارجية الإيراني، حسين أمير عبد اللهيان، في العاصمة السورية دمشق، في ظلّ مساعي طهران إلى استغلال علاقاتها الجيّدة مع البلدين، لردْم ما أمكن من الخلافات بينهما، والتأسيس لحوار جدّي وفاعل يفضي لاحقاً إلى مصالحة شاملة

> تريد إيران استغلال التطورات الحالية في الشمال السوري، للحصول على إجراءات من كلا البلدين

بين الجارتَين. وجاءت الزيارة أيضاً في سياق الجهد الإيراني المبذول، منذ بدء أنقرة تهديداتها بإطلاق عملية عسكرية جديدة في الشمال السوري، والدعوة إلى سلك الطرق الدبلوماسية، لتجنّب التصعيد في هذه المنطقة. وعمدت الجمهورية الإسلامية إلى تحويل التصريحات إلى وقائع على الأرض، من خلال الدخول كوسيط علني بين دمشق وأنقرة على خطّ تطورات الشمال الأخيرة، وقيادتها جهداً دبلوماسيّاً لمنع أيّ تصعيد عسكري جديد، بخاصّة وسط ارتفاع المؤشرات إلى قرب إطلاق العملية التركية، والدفع بتعزيزات عسكرية كبيرة للجيش التركي وفصائل «الجيش الوطني»، والتي وصلت إلى خطوط التماس مع كل من تل رفعت ومنبج الواقعتَين في ريف حلب الشمالي الشرقي. كذلك، تعمل طهران على استثمار توجّهات أنقرة الجديدة، والتي تريد عقد مصالحة مع كل الدول التي كانت تناصبها العداء، وهو ما تُمظهر في مصالحتها مع كل من السعودية والإمارات ومصر، ومحاولة استنساخ ذلك مع سوريا، على رغم إدراكها صعوبة هذه المهمّة، نظراً إلى الخلافات السورية - التركية العميقة.

من هنا، حرص عبد اللهيان على تظهير هذا الجهد إلى العلن، من خلال التصريحات التي أدلى بها حتى قبل مغادرة طائرته العاصمة طهران، إذ أكد أن «جزءاً من زيارته إلى دمشق يهدف إلى إحلال السلام والأمن في المنطقة بين سوريا وتركيا»، ليعطي مؤشراً إلى دور إيراني يُلعب بالفعل، للوساطة بين دمشق وأنقرة على أكثر من اتجاه، مع سعي إيراني إلى معرفة هواجس كل طرف، وتقريب وجهات النظر بينهما. وربّما حرص الدبلوماسي الإيراني على استخدام عبارة «الأمن والسلام» بين البلدين، في إشارة إلى ضرورة تحريك المياه الراكدة بين الجارتَين، ومعرفة مدى إمكانية تحقيق المصالحة بينهما، وذلك عبر اختبار جدّية الطرفين في خوض حوار لبدء ردم هوة الخلافات الكبيرة بينهما تدريجاً، وإنهاء الجفاء المستمر منذ أكثر من عقد. كما أنه تعمّد، في تصريحاته الإعلامية، إلى إبراز «رفض إيران أيّ إجراء عسكري تركي في الشمال السوري، لكونه يزعزع استقرار المنطقة»، مؤكداً بذْل كل جهد ممكن لمنع وقوع نزاع عسكري جديد في سوريا، في رد غير مباشر على كل القراءات التي فسّرت تصريحاته السابقة حول «تفهُّم إيران لهواجس تركيا الأمنية في سوريا»، بأنها كانت بمثابة ضوء إيراني أخضر لتركيا لإطلاق عملياتها العسكرية الجديدة.

هذه التصريحات التمهيدية، هدفت إلى معرفة وجهة نظر القيادة السورية بالنسبة إلى الوساطة الإيرانية، ومدى استعداد دمشق للانخراط بأيّ جهد ديبلوماسي بين البلدين، وهو ما يمكن استخلاصه من الردّ الحكومي «المرحّب» بالمبادرة، والمتمسّك توازياً بالتأكيد أن تركيا دولة محتلّة لأجزاء من الأراضي السورية، وأن لها أطماعاً عسكرية في هذا البلد. وظهر هذا الموقف بشكل واضح من خلال اعتبار الرئيس السوري، بشار الأسد، «الادعاءات التركية باطلة ومضلّلة ولا علاقة لها بالواقع، وتنتهك ميثاق الأمم المتحدة ومبادئ القانون الدولي وروابط حسن الجوار التي يفترض أنها تجمع بين البلدين الجارين». ومع حرص الأسد على تظهير وجهة النظر الرسمية السورية، جاء تصريح وزير الخارجية، فيصل المقداد، عن أنه «جرى بحث معمّق في العلاقات الثنائية وتحسين العلاقات بين دول الجوار»، ليشير بوضوح إلى دعم دمشق للمبادرة الإيرانية. والظاهر أن السوريين يريدون انتزاع تعهّدات من تركيا بالاستعداد للخروج من كل الأراضي التي يحتلّونها، في مقابل الخوض في مسار المصالحة والتسوية بين البلدين، واعتبار ذلك من الثوابت الوطنية التي لا يمكن التنازل عنها مطلقاً. وعليه، فإن الحديث عن مبادرة إيرانية شاملة لحلّ الخلافات المتراكمة بين البلدين، على المستويات السياسية والأمنية والعسكرية وحتى الشخصية، غير واقعي، ومبالغ فيه.

بالتالي، فإن طهران، في الغالب، تريد استغلال التطورات الحالية في الشمال السوري، للحصول على إجراءات من كلا البلدين، يمكن التأسيس عليها لاحقاً، من خلال طرحها لتطبيق «اتفاقية أضنة» بين البلدين، والتي ستؤدّي إلى نشْر الجيش السوري في المناطق المهدَّدة بالهجوم، وهو ما سيبدّد، في حال حصوله، كل المخاوف الأمنية التركية، ويكون الأساس الذي يمكن البناء عليه لاتخاذ خطوات لاحقة. ومع ذلك، لا يمكن إغفال أن المبادرة الإيرانية قابلة للعرقلة الأميركية في أيّ لحظة، وذلك من خلال حثّ واشنطن لـ«قسد» على التمسّك بخيار عدم الانسحاب العسكري من منبج وتل رفعت، أو تسليم المنطقتَين إدارياً وعسكرياً إلى الدولة السورية، وهو ما من شأنه أن يعقّد المهمّة الإيرانية، ويجعل من تطبيقها أمراً صعباً.

خطوة أولى مهمّة... الطريق لا يزال طويلاً

لم يمنع الرفض الروسي - السوري الصريح، و«القلق» الأميركي، الرئيس التركي، رجب طيب إردوغان، من مواصلة الحديث عن عملية عسكرية قرب الشريط الحدودي لطرد مقاتلي «قسد»، وقضْم مناطق جديدة لضمّها إلى «المنطقة الآمنة» التي يسعى إلى فرضها كأمر واقع، بهدف استثمارها لاحقاً في الانتخابات الرئاسية من جهة، وإنشاء حزام سكاني بلا أكراد قرب حدود بلاده من جهة أخرى. في هذا الوقت، جدّد إردوغان حديثه عن عمليه عسكرية «كبيرة» هذه المرّة، أبعد من تل رفعت ومنبج في ريف حلب، في أعقاب موافقة تركيا على انضمام السويد وفنلندا إلى «حلف شمال الأطلسي» (الناتو)، بضغط من الولايات المتحدة، التي تحاول استمالة نظيرتها الأطلسية لزيادة عزلة روسيا على خلفية الحرب في أوكرانيا. ووسط هذه المتغيّرات، حمل وزير الخارجية الإيراني، حسين أمير عبد اللهيان، خلال زيارته إلى دمشق، مجموعة من الأفكار حول سُبل يمكن اتباعها لإيجاد مخرج مناسب لكلا البلدين (سوريا وتركيا). وقبيل وصوله إلى العاصمة السورية حيث التقى الرئيس بشار الأسد، ووزير خارجيته فيصل المقداد، أكد عبد اللهيان أن بلاده لمست انفتاحاً تركيّاً لحلّ القضايا العالقة بالطُرق السياسية، وهو ما لمسه في دمشق أيضاً. ويعني ما تقدَّم، وجود أرضية يمكن البناء عليها لإجراء لقاءات سورية - تركية مباشرة لحلّ الخلافات، وفي مقدّمها وقْف الاعتداءات التركية والانسحاب من المناطق المحتلّة ووقف دعم المسلحين، في مقابل إبعاد «خطر الأكراد» عن الحدود التركية. وأعاد عبد اللهيان التذكير بعمق العلاقات الإيرانية - التركية من جهة، والإيرانية - السورية من جهة أخرى، والتي دخلت مرحلة أعمق بعد زيارة الأسد الأخيرة إلى طهران، في أيار الماضي. وحتى وقت قريب، كان الموقف الأميركي الداعم لـ«قسد» يشكّل عائقاً في ظلّ احتماء هذه الأخيرة بواشنطن، على الرغم من النتائج الكارثية لهذه «الرعاية»، والتي أدّت - في محصّلتها - إلى خسارة عفرين ومناطق أخرى في ريفي حلب والرقة لمصلحة الأتراك، بعد رفض «الإدارة الذاتية» تسليمها إلى الجيش السوري. ولكن الموقف الأميركي الحالي يبدو أكثر تقبّلاً للتخلّي عن مناطق تسيطر عليها «قسد»، وخصوصاً تلك الخاضعة للإشراف الروسي في ريف حلب، مع عودة الدفء إلى العلاقات الأميركية - التركية، وإبداء واشنطن استعدادها إلى تسليم أنقرة طائرات «أف-35»، في ظلّ رغبة واشنطن في تقليص الدور الروسي في الشمال الشرقي من سوريا، ليأتي ردّ موسكو واضحاً، من أنها موجودة في سوريا بموجب دعوة من الحكومة الشرعية، وأنها لن تتدخّل إلا في حال سيطرت دمشق على تلك المناطق.

وتزامناً مع زيارة الوزير الإيراني، صعّدت أنقرة من وتيرة قصفها لمناطق في تل رفعت ومنبج بالمدفعية، وعن طريق المسيّرات، في وقت أعلنت مصادر عسكرية سورية إسقاط مسيّرة استهدفت نقطة يتمركز فيها الجيش السوري، حيث قدمت دورية عسكرية روسية وقامت بتفقد الأضرار وفق ما ذكر مصدر ميداني، تحدّث إلى «الأخبار». وبخلاف المساعي التركية التي ترمي إلى السيطرة على المناطق السورية وقضمها تدريجاً، أبرزها في الوقت الحالي تل رفعت ومنبج، يفتح أيّ تقارب سوري - تركي الباب أمام حلّ قد يكون شاملاً للملفّات عالقة تمتدّ على طول الشريط الحدودي مع تركيا، بالإضافة إلى ملف طريق «M4» - أحد أبرز الطرق الدولية في سوريا، خصوصاً أن البلدين يشتركان في رفضهما الوجود الأميركي غير الشرعي في سوريا.

> المحاولة الإيرانية التي يقودها عبد اللهيان لا تعتبر الأولى في سياق فتح القنوات الديبلوماسية والأمنية السورية - التركية

المحاولة الإيرانية التي يقودها عبد اللهيان لا تعتبر الأولى في سياق فتح القنوات الديبلوماسية والأمنية السورية - التركية، إذ سبقتها محاولات عدّة، سواء إيرانية أو حتى روسية، إلّا أنها لم تسفر عن نتائج ملموسة، بسبب استمرار أنقرة في «سياستها العدوانية». غير أن الجهود الإيرانية جاءت، هذه المرّة، مصحوبة برؤيا واضحة المعالم تستغلّ الظروف المحيطة، ومن بينها الرغبة التركية الكبيرة في التخلّص من عبء اللاجئين السوريين، ووضع حدّ للهجمات الكردية، من دون التورّط في مواجهات عسكرية تؤدّي إلى خسائر كبيرة، لا قدرة لإردوغان على تحمّلها مع اقتراب الانتخابات الرئاسية، وهي أمور يمكن دمشق أن تقوم بها عبر فرض سيادتها على المناطق التي تسيطر عليها «قسد»، وهو التوجّه ذاته الذي أعلنته موسكو سابقاً وتحاول تحقيقه. وبالإضافة إلى المساعي الإيرانية لتقريب وجهات النظر السورية - التركية، بدا لافتاً وصول عبد اللهيان إلى دمشق عبر مطارها الدولي، بعد إعادة تأهيله إثر تعرّضه لعدوان إسرائيلي، كما بدا لافتاً تزامن الزيارة مع عدوان بصواريخ تم إطلاقها من طائرات كانت تحلّق فوق البحر المتوسط استهدف «مداجن وأرضاً زراعية في محيط بلدة الحميدية جنوب طرطوس»، وفق وزارة الدفاع السورية التي ذكرت أيضاً أن العدوان تسبّب بإصابة مدنيين اثنين بجروح بالإضافة إلى خسائر مادية.

على أيّ حال، لا يمكن النظر إلى الجهود الإيرانية، في الوقت الحالي، على أنها مثمرة وستصل إلى نتيجة واضحة تفتح الباب أمام عودة التعاون الأمني السوري - التركي، إلّا أنها تمثّل خطوة مهمّة في طريق طويل.

تزامنت الزيارة مع عدوان بصواريخ تم إطلاقها من طائرات كانت تحلّق فوق البحر المتوسط (أ ف ب)

فلسطين

«حماس» تقترح صفقة معلومات
تبادل الأسرى ينتظر تحرّك الاحتلال

غزة - رجب المدهون

مع تسلّم بائير لابيد رئاسة الوزراء في كيان الاحتلال، ارتفعت فُرص إتمام صفقة تبادل أسرى بين حركة «حماس» وإسرائيل، في ظلّ تواصل جهود الوسطاء بهدف الوصول إلى نقطة التقاء بين الجانبين، تدفع قدُماً بالمفاوضات، وصولاً إلى عقْد الصفقة، وسط استعداد فلسطيني إلى إتمام صفقة معلومات. وبحسب مصدر في «حماس»، تحدّث إلى «الأخبار»، فإنّ قضيّة تبادل الأسرى، تُعدّ أولوية بالنسبة إلى قيادة الحركة، مشدّداً، في الوقت ذاته، على استعداد الأخيرة لتقديم معلومات حول الجنديَّين هدار غولدن وشاؤول آرون ضمن صفقة المعلومات المقترحة. وقد أعيد الحديث مرّة أخرى، من قِبَل الوسطاء، حول إمكانية تفعيل العرض الذي قدّمه قائد الحركة في غزة، يحيى السنوار، قبل عام ونصف عام، وهو ما رحّبت به الحركة أخيراً، فيما أفاد المصدر بأنّ حكومة الاحتلال غير جادّة في إجراء صفقة تبادل، ولا تريد دفع الثمن المطلوب، بعدما رفضت عدّة عروض قُدّمت من جانب وسطاء إقليميين وأوروبيين، بما في ذلك مبادرة السنوار الإنسانية أثناء الأزمة الوبائية.

وترفض حركة «حماس» الإفراج عن معلومات حول الجنديين غولدين وآرون دون ثمن، بحسب المصدر الذي أكّد أن هذا الثمن تمّ الحديث عنه مع الوسطاء، وبات واضحاً للجميع، وهو الإفراج عن الأسيرات والأسرى كبار السن والأطفال، والأسرى المُعاد اعتقالهم من محرّري صفقة «وفاء الأحرار» عام 2011. وشدّد المصدر على أن حكومة الاحتلال لا تريد أن تقدّم بارقة أمل لعائلات الجنود الأسرى عبر طمأنتهم إلى مصير أبنائهم، وهي تواصل الكذب عليهم، عبر وصف الجنود الأسرى بالجثث، موضحاً: «إنْ كانت حكومة الاحتلال متيقّنة أنهم جثث، فلْتذهب إلى تنفيذ صفقة معلومات تؤكد مزاعمها، وبعدها فلْتذهب إلى صفقة». وفي الإطار ذاته، كشف جيش الاحتلال، أمس، عن شرطه لإبرام صفقة تبادل مع حركة «حماس»، بعد تصاعد الحديث عن إمكانية إتمامها، في ظلّ كشف «كتائب القسام» عن تدهور في صحة الجندي الأسير لديها هشام السيد. وقال الناطق باسم الجيش، العميد ران كوخاف: «بالنسبة إلينا، لا مجال لإبرام صفقة أسرى مع حماس، من دون أن تشمل هدار غولدين وآرون شاؤول».

وفي اليوم الأوّل لتسلّمه منصب رئيس الحكومة الإسرائيلية، عقد يائير لابيد اجتماعَين مع رئيس جهاز الأمن الداخلي «الشاباك» رونين بار، ومنسّق شؤون الأسرى والمفقودين يارون بلوم، في مقرّ وزارة الأمن في تل أبيب. ويأتي اجتماع لابيد مع بلوم بعد أيّام قليلة من نشْر «القسام»، الجناح العسكري

> تعتقل إسرائيل أكثر من 4700 فلسطيني، بينهم ما يزيد على 640 معتقلاً إدارياً

لـ«حماس»، مشاهد مصوّرة لأسير لديها يدعى هشام السيد، وهو يخضع لتنفّس اصطناعي. وكان رئيس الحكومة الجديد قد صرّح، بعد نشر الفيديو، بأن الحكومة الإسرائيلية تحمّل «حماس» مسؤولية سلامة الإسرائيليين الأسرى لديها.

من ناحية أخرى، دعت «الحركة الوطنية الأسيرة»، الفصائل الفلسطينية إلى الاستمرار في سعيها الحثيث لإتمام صفقة تبادل تضمن تحرير كلّ الأسرى والأسيرات من سجون الاحتلال، مؤكدةً أن هذه الصفقة هي السبيل الوحيد للخلاص من العدوان المستمرّ، سواءً بالقتل أو التنكيل أو القمع. وتحتجز «حماس» هدار غولدين وآرون شاؤول، وهما جنديان أسرا خلال حرب عام 2014 على غزة، وتقول إسرائيل إنهما قُتلا، وهو ما ترفضه عائلتاهما. وتعتقل إسرائيل أكثر من 4700 فلسطيني، بينهم ما يزيد على 640 معتقلاً إدارياً، 500 أسير مريض، و550 أسيراً محكوماً بالمؤبّد مدى الحياة، بحسب «نادي الأسير الفلسطيني».

ترفض حركة «حماس» الإفراج عن معلومات حول الجنديين غولدين وآرون دون ثمن (أ ف ب)

العراق

«التيار الصدريّ» لا يستعجل الشارع
رهانٌ على الانتخابات المبكرة

ساد انطباع، في الأيام الماضية، حول أن زعيم «التيار الصدري»، مقتدى الصدر، سيقوم بتحريك الشارع تحت عناوين مطلبيّة، لفرض ما لم يستطع فرضه من خلال كتلته في مجلس النواب، قبل قراره الخروج من البرلمان ومن العملية السياسية. إلّا أن المعلومات تفيد بأن التيار غير مستعجل لتحريك الشارع، بل ليست له مصلحة في التأزيم، ذلك أن المفاوضات الجارية لتشكيل الحكومة ستنتهي حتماً إلى الفشل، وهو ما سيفتح أبواب العملية السياسية من جديد

بغداد ـ سُرى جيّاد

«إلى أين يتّجه العراق؟»؛ بدا هذا السؤال مدوياً وسط تكثيف «التيار الصدري» إطلاق المواقف، موقفاً تلوَ آخر ممّا يجري في البلاد، على رغم انسحابه من العملية السياسية، بما أوحى أن التيار يستعدّ إلى إطلاق تحرُّك في الشارع، احتجاجاً على الأوضاع المتردّية. إلّا أن مصادر عراقية أكدت، لـ«الأخبار»، أن الصدر غير مستعجل لحشد أنصاره في الشارع، ولا سيما أن ظروف التحرّك لن تنضج قبل أن تنتهي المفاوضات الجارية لتشكيل الحكومة، وهي - برأيه - ستفشل حتماً نتيجة الخلافات العميقة بين أطرافها، وتحديداً داخل «الإطار التنسيقي» الذي لم يستطع الاتفاق على شيء حتى الآن، على رغم توسيع كتلته البرلمانية لتصبح هي الكتلة الأكبر في مجلس النواب، لكن خيار الشارع يبقى وارداً في حالة واحدة، وهي أن تتمكّن القوى المشاركة في المفاوضات الحكومية من التوصّل إلى تشكيل حكومة على نمط الحكومات السابقة التي يعتبر مقتدى الصدر أنها أوصلت البلاد إلى هذه الحال. فإذا انتهت تلك المفاوضات إلى الفشل، ستنتهي الأمور إلى انتخابات جديدة خلال أشهر، يعتقد الرجل أنها ستعطيه غالبية أكثر وضوحاً، يمكنه من خلالها فرض تشكيل حكومة غالبية يحكم عبرها البلاد. وهو يستند إلى أن العراق يحتاج إلى حكم قوي يُخرجه من الأزمة التي يتخبّط فيها، وأن مواصفات مثل هذا الحكم تتوفّر فيه حصراً، لأسباب موضوعية، أهمّها شعبيّته الجارفة. وبحسب المصادر، فإن الصدر لا يتأثر بالغرب، ولا يمكن أن تدفعه أيّ جهة خارجية إلى أخذ العراق نحو الفوضى، فهذا معاكس لمشروعه الذي يَعدّ له منذ سنوات طويلة، وهو حكم العراق. وهو حذّر من الانجرار إلى صراع شيعي - شيعي، وأبلغ المعنيّين بأنه لن يوافق على أن يدفعه أحد إلى خيار كهذا تحت أيّ ظرف، إلّا أن له علاقات مع الجميع ولن يقبل بأن يملي عليه أحد ما يفعل، بمن في ذلك إيران، التي لن يتّخذ خيارات تضرّ بمصالحها في العراق، لكنه يريدها أن تتعامل معه بصفته المرجعية والسلطة وصاحب الشعبية الأكبر في البلاد. وتشير المصادر إلى أن الاتصالات قائمة بين الصدر والأطراف الإقليميين المعنيين بالوضع الشيعي في العراق، ولكنّ الوساطات متوقّفة نتيجة عدم توفر ظروفها المناسبة، ولأن أحداً من الأطراف الإقليميين لا يريد التدخّل في الشأن الحكومي العراقي، طالما أن الصراع في شأنه يجري تحت سقف عدم إسالة دماء في الشارع، ولأن التجارب السابقة على مناصبها والمكتسبات الشخصية هي في قاعدته المتماسكة وقيادته القديرة، فالسياسة كانت مجرد ورقة بسيطة من أوراق هذا التيار الثوري. ولذلك، فإن تحرّكه خارج السياسة أخطر على منافسيه».

> اتصالات الأطراف الإقليمية المعنية بالوضع الشيعي في العراق مع الصدر قائمة ولكن لا وساطات

وفي سياق شرح قرار الصدر استقالة نواب التيار من البرلمان، والخروج من العملية السياسية، أطلّ «وزير القائد» في التيار، صالح محمد العراقي، ثلاث مرّات خلال ثلاثة أيام متتالية ليؤكد أن الانسحاب من العملية السياسية سيكشف حقيقة مدّعي الدفاع عن المذهب «فيا ترى ما هم فاعلون في تغييب طبقة شعبية هي الأغلب والأشجع في مقاومة الاحتلال وحرب الإرهاب والأقرب الى قلوب الشعب والمنصفين؟ ولن نشاركهم مهما حدث». وفي بياناته، اعتبر أن القرار بالانسحاب «يعود إلى أنه استحال تشكيل الحكومة من دون إشراك الفاسدين والتبعيين والطائفيين، كما أن المستقلّين وقفوا على الحياد من مشروع حكومة الغالبية الوطنية نتيجة الترغيب والترهيب أو عدم الثقة، في حين أصرّت الكتل السياسية، بل وبعض الدول على التوافق وهذا ظلم للشعب والوطن».

ومشيرةً إلى أن «قوّة التيار الصدري الحقيقية هي في قاعدته المتماسكة وقيادته القديرة، فالسياسة كانت مجرد ورقة بسيطة من أوراق هذا التيار الثوري. ولذلك، فإن تحرّكه خارج السياسة أخطر على منافسيه».

لن تنضج ظروف التحرّك قبل أن تنتهي المفاوضات الجارية لتشكيل الحكومة (أ ف ب)

تونس

«حلفاء» سعيد ينفضّون من حوله
الرئيس ودستوره وحيدان

تونس - الأخبار

يسارع جميع من ساند الرئيس التونسي، قيس سعيد، في المضيّ في مشروعه لتعديل الدستور، إلى القفز من مركب المؤيّدين للمسودة المقترَحة، ليبقى الرئيس وحيداً في حمْل لواء مشروعه، وفرْض الذهاب نحو الاستفتاء. ولعبثية فعل الهرولة للتنكّر لأيّ دور في المسودة النهائية لسعيد، عدّة أوجه، أبرزها التساؤل عمّا إذا كان سيضيره حقاً إذا ما ترك وحيداً، وهو الذي يسعى إلى أن يكون صاحب الأمر والنهي والمشروع. لا معنى حقيقة لاستنكار رئيس لجنة صياغة الدستور، عميد القانون الصادق بلعيد، عدم الأخذ في الاعتبار مسودة الدستور التي صاغها في إطار حوار وطني زائف، والتي لا تقلّ سوءاً عن مسودة سعيد. فمنذ تسمية اللجنة، كانت مهامّها استشارية، إذ لا سلطات تقريرية لها ولا وجوب للأخذ بعملها، فيما كان الجميع على دراية بأن الحوار الوطني برمّته واللجان التي انبثقت منه، لم تكن إلّا خطوة من سعيد هدفها خلْق نقاش عام وجدال حول أشغال كتابة الدستور لا أكثر ولا أقلّ. خرج بلعيد والأستاذ أمين محفوظ، عضوا لجنة صياغة الدستور، منددَين بالتغييرات الجذرية التي أُدخلت على النصّ المسلَّم إلى سعيد، ومتبرئين تماماً من أيّ مسؤولية فيه.

تلقّفت المعارضة موقف الأخيرين ساعات بعد نشْر مسودة الدستور، داعيةً إلى سحب الصفات الأكاديمية والأهلية العلمية منهما، ولكنها لم تفوّت الفرصة لاستغلال تصريحاتهما وتتحسّر على النص الذي صاغاه والذي ألقت به الرئاسة في سلّة المهملات. والنص المسلَّم من الأستاذين إلى سعيد، منشور على أعمدة الصحف المحلّية ويمكن المقارنة بينه وبين نص سعيد وبين معايير كتابة الدساتير ودورها في تنظيم العلاقة بين مؤسسات الدولة وبين الدولة والأفراد وآليات الرقابة، وإن كان يتفوّق في آليات الرقابة

> ترك «الاتحاد العام التونسي للشغل» الخيار لمنتسبيه في التصويت بالقبول أو الرفض أو المقاطعة

على نص الرئيس، مضمّنا تقنيات تسمح للبرلمان والمحكمة الدستورية بممارسة رقابة ناجعة على رئيس الجمهورية، فإنه في بقية أبوابه كان مجانباً أيضاً للمعايير الدولية، وكُتب في ارتهان لواقع «ما بعد حركة النهضة»، وليس لمستقبل تونس ككلّ.

ويسود تساؤل حول ما سيحدث لاحقاً، وإن كان سعيد سيغيّر في نصه قبيل الاستفتاء، وهو أمر غير متاح بموجب مرسومه. ولكن السؤال الأهمّ هو إن كان الرئيس سيقبل الهزيمة إذا سقط دستوره، وهو ما يتطلّب أوّلاً أن تكون المشاركة مكثّفة في الاستفتاء، وأن يكون التصويت الرافض لمشروع الدستور أغلبياً. وتُعدّ هذه الفرضيّة غير واقعية إلى درجة ما، إذ إن الدعوات إلى المقاطعة الصادرة عن خصوم سعيد من منظومة «النهضة» وحلفائها، وبالنظر إلى ثقلهم الانتخابي، ستكون ذات وزن إذا ما شاركت قواعدهم. ولكن دعوات المقاطعة الحقيقية هي تلك الخاصة بالطيف الوسطي الاجتماعي واليسار، والتي تستعيد مقولات كلاسيكية من بينها أن صراع رجعيّتين - أي «النهضة» وسعيد - لا دخْل لها فيه، وأنها لا يمكن أن تكون شريكة في هذه المهزلة. أما «الاتحاد العام التونسي للشغل»، فقد اختار حلّاً يجعله بمنأى عن الانخراط في صراعات داخلية أو خارجية، إذ ترك لمنتسبيه الحرية في التصويت بالقبول أو الرفض أو المقاطعة. يفسر الموقف أن الاتحاد راعى في اتخاذ قراره هذا، تنوّع المنخرطين فيه وانتماءاتهم السياسية، وتفادى بذلك أن تتولّد انشقاقات أو صراعات داخلية في الاتحاد قد تؤثّر فيه.

مسار إقناع سعيد للشعب التونسي بأن رأيه هو الأصلح، انطلق منذ زمن في تشكيكه المتواصل في النخبة وتخوينه لخصومه. وتجلّت نتائج هذا الخطاب في الأيام الأخيرة، من رفض تامّ للاستماع إلى الآراء الناقدة وحملات السحل لكل من يصدح برأي معارض للاستفتاء وترتيباته، ثمّ للمشروع.

يسود تساؤل حول ما سيحدث لاحقاً، وإن كان سعيد سيغيّر في نصه قبيل الاستفتاء (أ ف ب)

اليمن

الوفد الحكوميّ غائب: مفاوضات عمّان لا تتقدّم

صنعاء ـ رشيد الحداد

عاد وفد صنعاء العسكري المفاوض إلى العاصمة الأردنية عمّان، مساء الخميس الماضي، بعد تلقّيه دعوةً من مكتب المبعوث الأممي إلى اليمن، هانس غروندبرغ، لاستكمال المشاورات حول المعابر والطرق، وعلى رأسها طرق تعز. إلّا أن الوفد الحكومي لم يحضر، بحجّة عدم وجود تقدّم حول مقترحات الأمم المتحدة الخاصة بطرق تعز، كما أنه لم يتلقَّ، وفق زعمه، دعوة من مكتب غروندبرغ في هذا الشأن، وهو ما عدّته صنعاء تهرُّباً واضحاً يعكس زيف الادعاءات التي يسوقها الطرف الآخر بالحرص على إنجاح المساعي الأممية، بغية التوصل إلى اتفاق حول هذا الملفّ. وفي هذا الإطار، أفاد مصدر دبلوماسي في الأردن، «الأخبار»، بأنّ «وفد صنعاء التقى يومي الجمعة والسبت نائب المبعوث الدولي إلى اليمن، معين شريم، وتمّت مناقشة مسار الهدنة الإنسانية والعسكرية. وقدّم الوفد تقريراً حول خروقات اتفاق وقف إطلاق النار التي ارتُكبت من قِبَل قوات وميليشيات موالية للتحالف في عدد من الجبهات العسكرية، كما ناقش الطرفان مقترح صنعاء القاضي بفتح طريقين بشكل عاجل». ووفق المصدر نفسه، أبدى وفد صنعاء استعداده مجدّداً لفتح الطرق المقترحة من قِبَله في تعز من طرف واحد، في حال استمرّ الطرف الآخر في وضع العراقيل، وفي إعاقة أيّ تقدّم في مسار فتح الطرق في محافظة تعز.

> دفعت الميليشيات الموالية لـ«التحالف» بتعزيزات عسكرية إلى مناطق التماس الواقعة بين منطقتي الرمدة وغراب

وفي محاولة مسبقة لإفشال أيّ مساعٍ أحادية من قِبَل صنعاء، كفتح طريقين بريطان جنوب المدينة باتجاهيها الشرقية الواقعة تحت سيطرة ميليشيات «حزب الإصلاح»، علمت «الأخبار»، من مصادر محلية في مدينة تعز، أن هذه الميليشيات التي تلوّح بفتح الطرق بالقوّة، وما تسمّى كتائب «حسم» التي يقودها السلفي المتطرّف عدنان زريق، دفعت، خلال اليومين الماضيين، بتعزيزات عسكرية إلى مناطق التماس الواقعة بين منطقتَي الرمدة وغراب الواقعتَين على خطّ الستّين شمال المدينة، لإفشال خطوة صنعاء. وأشارت المصادر إلى أن تحرّكات عسكرية موازية شهدتها المناطق الواقعة على التماس قبل جولة القصر، شمال المدينة. ويأتي ذلك في ظلّ إصرار الوفد الحكومي على فتْح طرق معيّنة، من مثل طريق تعز - الحوبان الذي يشكّل أولوية بالنسبة إليه، فيما تعتبر صنعاء ما تقدّم قفزاً على الواقع العسكري والأمني في تعز. ورأى رئيس وفدها المفاوض، اللواء يحيى الرزامي، أن «تنفيذ هكذا اشتراطات محلّها الحلّ الشامل، وليس الهدنة المؤقتة»، معتبراً أن «إصرار الطرف الآخر على طريق بعينها، وتجاهله للطرق الأخرى التي تُعتبر حلاً واضحاً ومنطقياً لتسهيل مرور المواطنين والمركبات في تعز كخطوة أولى، يؤكد أن هناك مآرب عدوانية أخرى». من جهته، ربط الناشط السياسي، منذر الشرجبي، المقرّب من حركة «أنصار الله»، في حديث إلى «الأخبار»، بين ما تواجهه تعز من مؤامرات، وبين الأطماع الدولية على باب المندب، لافتاً إلى أن الصراع حول هذه المدينة، جغرافي. واعتبر أن تعز تحوّلت إلى «قميص عثمان» بيد تحالف العدوان من جهة، و«حزب الإصلاح» من جهة أخرى، وتمّ استغلالها للمزايدة الإنسانية أمام المجتمع الدولي، واستعطاف الرأي العام المحلّي وتحشيد الشباب والمقاتلين إلى الجبهات بذريعة «فكّ الحصار»، مشيراً إلى أن هناك معاناة مجتمعية ناتجة عن إغلاق عدد من الطرق التي تُعتبر جبهات مشتعلة في مناطق تشهد أشدّ المعارك والمواجهات وأعنفها منذ بدء العدوان. ورأى أن مطالب العدوان وأدواته فشلت في هذه الجبهة التي تُسمّى (جولة القصر)، والتي يطالب الوفد الحكومي بفتح الطريق فيها. وبحسب هذا الناشط، فإن إتاحة المجال للوفد الحكومي بالدخول إلى جولة القصر تُعدّ تسليماً للجبهة بكاملها، وهو ما سيمكّنه من اقتحام منطقة الحوبان الخاضعة لسيطرة الجيش اليمني و«اللجان الشعبية». كذلك، أوضح وجود عوامل تقف خلف رفض الوفد الحكومي أيّ حلول أو مبادرات لفتح طرق بديلة لإنهاء معاناة الناس، أبرزها الإتاوات المالية الكبيرة التي يحصل عليها من جراء إغلاقها. وقال الشرجبي إن فتح طرق تعز ومعابرها، سيُسقط مبرّر الميليشيات التي تُستخدم للتحشيد والتجنيد والقتال في جبهات تعز، متّهماً «التحالف» وميليشياته بإغلاق الطريق الرئيس الرابط بين عدن - لحج - تعز (كرش - الراهدة)، والطريق الرئيس الرابط بين (تعز - الحديدة - المخا) في مفرق الوازعية. وبذلك، يحكم «التحالف» حصاره على تعز ويقطع عنها الطرق الرابطة بثلاثة موانئ، وهي: ميناء عدن، ميناء الحديدة وميناء المخا. كما يغلق طارق صالح على أبناء تعز طريق (البريرين - الكدحة - الوازعية - المخا)، الذي يمكن من خلاله الوصول من مدينة تعز إلى المخا والمديريات الساحلية الأخرى خلال نصف ساعة، بدلاً من السفر عبر طور الباحة إلى عدن ومن ثمّ الخط الساحلي وصولاً إلى المخا.

أبدى وفد صنعاء استعداده مجدّداً لفتح الطرق المقترحة من قبله في تعز من طرف واحد (أ ف ب)

الكرة اللبنانية

جمال طه في الأنصار: طريق العودة مليئة بـ «الألغام»

مرحلة جديدة في نادي الأنصار تنطلق من السعي إلى استعادة الألقاب التي فقدها «الزعيم» وتمرّ من حاجات الفريق الفنية بعد موسم صعب عاشه. وتصل إلى المشروع المتجدّد الذي سيطلقه احد ابرز الاسماء في تاريخ النادي البيروتي، قائده السابق جمال طه العائد إلى تدريبه

شربل كريم

الكلّ كان يعلم أن الأنصار يتجه نحو مرحلة جديدة، بعدما فقد لقبَي الدوري وكأس لبنان اللذين سعى وراءهما كثيراً في الأعوام الأخيرة. مرحلة التغيير المرتقبة لم تكن مرتبطة فقط باللاعبين بل بتهيئة الأجواء المناسبة لإعادة ترتيب البيت الأنصاري، وهو أمر لم يكن بالسهل أبداً بعد عودة المدير الفني الأردني عبدالله أبو زمع إلى بلاده إثر انتهاء عقده مع «الأخضر».

هنا كان الأنصاريون أمام مفترق طرق، فإما البحث مجدّداً عن مدرب أجنبي والعمل معه كما كان الحال عليه طوال خمس سنوات، وإما إيجاد من يمكنه أن يعالج الخلل الفني الذي قضى على موسم فريق

> ضجيجٌ في الشارع وفي الكواليس وكلامٌ عن ملفات شائكة مع نجوم الفريق

كان بطلاً حتى الأمس القريب. فضلاً عن ذلك فإن الأهم هو في كيفية اختيار شخص مناسب للمهمة ولهوية نادي الأنصار.

هذا الشخص كان ببساطة أحد أبرز الأسماء التي صنعت مجد فريق مهيمن وحاصد للألقاب التي كان أحد أبطالها أو المخطّطين لها لاعباً قائداً، ومدرباً، حتى ورد اسمه في غالبية الصفحات الذهبية لتاريخ الأنصار والكرة اللبنانية.

هو جمال طه الذي لم يتمكن أحدٌ من حصد كمٍّ من الألقاب أكثر منه، حتى انتهى به المطاف فائزاً في 32 من أصل البطولات المختلفة الـ39 التي احتفل الأنصار بها بحسب ما يشير أكثر من مرجع.

هجمات وضغوط

يعلم جمال طه حجم الضغوط التي تنتظره منذ اللحظة التي ستنطلق فيها الاستعدادات للموسم الجديد، ويعلم أيضاً أن قسماً من الجمهور لا يبادله الودّ لأسباب أو لأخرى يدركها تماماً، وقد ظهرتْ إلى العلن أصلاً عند إعلان تسميته مديراً فنياً مرةً جديدة.

البعض أعاد أسباب الهجمة على «الغزال الأسمر» إلى نتائج منتخب لبنان خلال فترة توليه الإشراف

البعض أعاد أسباب الهجمة على «الغزال الأسمر» إلى نتائج منتخب لبنان خلال فترة توليه الإشراف عليه (طلال سلمان)

عليه، والبعض الآخر صوّب على حسابات داخل البيت الواحد، يمكن أن تكون قد دفعت باتجاه انتقاد الرجل حتى قبل أن يبدأ مهمته، التي لم تكن سيئة غالباً عندما تولى الإشراف على الفريق البيروتي العريق، إذ في 139 مباراة له مع أحد أشهر الفرق البيروتية فاز في 78 مناسبة مقابل 38 تعادلاً و23 خسارة.

الأكيد أن طه يمكنه أن ينهض بالأنصار، لكنّ هذه النهضة دونها عقبات يعلمها أيضاً ولو أنه لم يتمّ الحديث عنها في العلن، وما إيجاد الحلول لها إلا خطوة مهمة نحو خلق استقرار على مختلف المستويات في الفريق، ما يعني أن المدرب سيكون قادراً على العمل بسلاسة ومن دون تعقيدات.

ومنذ اللحظة الأولى لإعلان تعيينه على رأس الجهاز الفني، طفت إلى العلن أحاديث عن ملفات أساسية شائكة بنسب مختلفة تنتظره، ومنها إشارة إلى علاقة متوترة مع ثلاثة من أركان الفريق هم القائد معتزباالله الجنيدي، والظهير نصار نصار ونجم خط الوسط نادر مطر. صحيح أن الأول لم يشارك كثيراً في الموسم الماضي بعدما خسر مركزه أساسياً، لكن لا يخفى أن له تأثيره على عناصر عدة في المجموعة. القائد الهادئ قبل إنه لم يكن على تفاهم تام مع القائد السابق الذي اتُّهم أيضاً باصطدامه بنصار في المنتخب وامتعاض الأخير مما حصل معه. وكذا بالنسبة إلى مطر الذي قيل إنه مرّ بفترة متوترة معه انطلاقاً من أنه لم يكن راضياً عن دوره مع «رجال الأرز» خلال فترة إشراف طه على المنتخب. كما ذهب البعض إلى القول بأن هناك مشكلات عالقة مع حسن معتوق، وهي مسائل وصفها أحد المقرّبين من طه بأنها شائعات من نسج الخيال وتثير الضحك والسخرية في آن معاً، لأن المدرب العائد على علاقة طيّبة بكل هؤلاء اللاعبين الذين يعرف مدى أهمية دور كلّ منهم في تشكيلته.

بين الشرقي وسعد

وفي موازاة هذه الأجواء، يصف أنصاري عتيق المدرب القديم - الجديد بأنه نسخة متطوّرة لمزيج يجمع بين أفكار فنيّة مميزة كتلك التي تمتّع بها الراحل عدنان الشرقي، وبين صرامة محمود سعد. الواقع أن الأنصار يحتاج إلى الشخصيتين، فهو بدا أنه يعاني من مشكلات فنيّة جمّة على أرض الملعب، ومن حالة عدم انضباط لبعض اللاعبين أثّرت على مستواهم الشخصي والمستوى العام للفريق الذي عرف ضجيجاً في الكواليس بسبب مجموعة من اللاعبين تريد تحسين العقود.

وهذه المسألة قد تعرقل العمل على إنهاء ملف التعاقدات، حيث يبدو الفريق الأخضر بحاجة إلى تدعيم صفوفه بلاعبين في كل المراكز تقريباً، انطلاقاً من طرفي خط الظهر وقلب الدفاع، فكان قد طرح فكرة الحصول على خدمات سعد يوسف وعبدالله مغربي من طرابلس وعبدالله عيش من النجمة وشادي سكاف من البرج، وذلك في موازاة العمل على إقناع شباب الساحل بالتخلي عن حسين الدر المصرّ على البقاء في قلعة الأنصار بعد انتهاء فترة إعارته.

أضف إلى ذلك أن الفريق ورغم تجديد عقد يحيى الهندي لموسم إضافي، فإنه قد يكون بحاجة إلى لاعب خط وسط - دفاعي (ارتكاز) إضافي مع أرجحية عدم وضع غازي حنينة في الحسابات ورحيل جهاد أيوب عن الفريق، لتكون الخطوة المثالية الأولى هي في تعزيز خط الهجوم بأفضل من يمكن أن يلعب في مركز رأس الحربة وهو الهدّاف السنغالي الحاج مالك تال.

مهمة طه صعبة بلا شك في الأنصار، لكنّ خبرة الرجل ومعرفته بخبايا الفريق وطبيعة أفراد تشكيلته واختياره جهازه الفني ومساعديه بنفسه ووجود صديقه بلال فراج إلى جانبه مديراً، كلّ ذلك يؤسّس لمرحلة قد تكون ناجحة كما كانت حال كل مرحلة غرفها «الغزال الأسمر» في بيته الأول والأخير.

حول العالم

رونالدو يبحث عن مغامرة جديدة

أكّدت العديد من التقارير الإعلامية أن المهاجم الدولي البرتغالي كريستيانو رونالدو يرغب في الرحيل عن فريقه الحالي مانشستر يونايتد الإنكليزي هذا الصيف إذا تلقّى «الشياطين الحمر» عرضاً مناسباً. وعاد البرتغالي البالغ من العمر 37 عاماً إلى ملعب «أولد ترافورد» قادماً من يوفنتوس الإيطالي الصيف الماضي، لكن على الرغم من نجاحه في فرض نفسه الهدّاف الأوّل ليونايتد في الموسم المنصرم، وثالث الهدّافين في الدوري الممتاز (18 هدفاً)، إلاّ أن فريق «الشياطين الحمر» اكتفى باحتلال المركز السادس في ترتيب الدوري الإنكليزي الممتاز «بريميرليغ».

كما فشل يونايتد في حجز مقعده لسابقة دوري أبطال أوروبا للموسم الجديد، وخرج خالي الوفاض

من أي لقب، ما وضع «سي آر 7»، في مواجهة احتمال اللعب في مسابقة الدوري الأوروبي (يوروبا ليغ) للمرة الأولى في مسيرته، بعد أن حقّق الفوز بالكرة الذهبية لأفضل لاعب في العالم خمس مرات، وحقّق لقب دوري الأبطال خمس مرات.

من ناحيته، يصرّ يونايتد على أن نجمه البرتغالي صاحب 24 هدفاً في جميع المسابقات في الموسم الماضي، والذي يمتد عقده لعام إضافي قابل للتمديد عاماً آخر، ليس للبيع بحسب التقارير، مع حرص المدرب الجديد الهولندي إريك تن هاج على العمل معه.

وأحرز رونالدو لقب الدوري الإنكليزي ثلاث مرات ودوري أبطال أوروبا مرة خلال مروره الأول مع يونايتد لست سنوات، قبل أن يغادر إلى ريال مدريد الإسباني في عام 2009 وثم يوفنتوس في عام 2018 في مسيرة مزخرة بالأهداف والألقاب.

ويتحضّر لاعبو يونايتد الدوليون للالتحاق بتمارين الفريق في الأيام المقبلة قبل السفر إلى تايلاند يوم الجمعة المقبل لبدء جولتهم التحضيرية.

دورانت يطلب الرحيل

تلقّى نادي بروكلين نتس المنافس في الدوري الأميركي للمحترفين «NBA» طلباً من نجمه كيفن دورانت من أجل إدخاله في عملية تبادل. وبحسب تقارير إعلامية فإن دورانت المُتوّج بلقب الدوري مرتين مع غولدن ستايت ووريرز وأفضل لاعب في الدوري في عام 2014 بألوان أوكلاهوما سيتي

ثاندر، يرغب في الانتقال إلى صفوف فينيكس صنز أو ميامي هيت. وأضافت التقارير أن نتس يهدف إلى الحصول على أفضل صفقة ممكنة من النجم الذي كان مدّد عقده عام 2021 لمدة أربع سنوات مقابل 198 مليون دولار.

وقرّر دورانت أن يتحدث للمرة الأولى منذ الكشف عن رغبته بالرحيل، لكن ما كتبه على تويتر كان غامضاً حيث قال: «الأشخاص المتواجدون معي في الصالة الرياضية يعرفون فحوى الأمر، ويعرفونني». وتابع: «إذا لم تكونوا معي هناك، فاسألوا من حولي». وفشل دورانت (33 عاماً) في عام 2021 مع الثنائي كايري إرفينغ وجيمس هاردن المنتقل في وقت سابق من هذا العام إلى فيلادلفيا سفنتي سيكسرز، في قيادة نتس إلى المنافسة على اللقب.

استراحة

كلمات متقاطعة 4067

افقيا

1- شخصية دينية رفيعة – 2- حصن صليبي في فلسطين قديماً – قرار الأرض – 3- نهر فرنسي – أحرف متشابهة – 4- آثار فرعونية – مجدب – 5- فك العقدة – خشبة معترضة في عنق الثوريْن – أنا بالأجنبية – 6- يستخرج من الشمندر – كاس – شركة نفط عالمية – 7- خلاف ليالينا – 8- كان طلق الوجه – خاصتي – تدفق الماء – 9- تصغير كلمة جنب – دمع يغمر العين ولا يسيل – 10- شاعر فرنسي راحل

عمودياً

1- منطقة في مدينة طرابلس – بئر عميقة – 2- أرجوك – من الألوان – 3- مؤذن الرسول – بلدة بقاعية – 4- دولة آسيوية – احسان – 5- خنزير برّي – موقع أثري في غواتيمالا من حضارة مايا – 6- حارس مرمى أرجنتيني – 7- شهر هجري – بواسطته – مأوى الدجاج – 8- إشعال النار – من جرّب الأمور – 9- ملعب – أحرف متشابهة – 10- فنانة مسرحية لبنانية

حلول الشبكة السابقة

افقيا

1- مايكل دبغي – 2- يثرب – مراكش – 3- زمن – جن – منف – 4- وا – هرب – 5- اس – لهو – ين – 6- دلا بورتا – 7- بوم – حد – 8- كبا – دراما – 9- نس – راسين – 10- الغجر – جبيل

عمودياً

1- مي زيادة – نا – 2- إثم – سل – كسل – 3- برنو – أبي – 4- كب – البوارج – 5- هوم – آر – 6- دمنهور – دس – 7- بر – تحريج – 8- غامبيا – أنبَ – 9- يكن – حم – 10- شفق – جداول

sudoku 4067

	1	6					4	3
5								7
		7	5	3	4			6
1	7				3	6		
	2			8			7	
		4			1		9	2
4				7	9			
	5			2				9
		2	3			8	1	4

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أو عمودي.

حل الشبكة 4066

1	2	5	9	7	4	3	6	8
6	8	7	1	3	5	2	4	9
3	9	4	8	6	2	1	5	7
4	1	8	5	2	6	7	9	3
5	7	2	4	9	3	6	8	1
9	6	3	7	1	8	4	2	5
2	3	1	6	5	9	8	7	4
7	4	9	2	8	1	5	3	6
8	5	6	3	4	7	9	1	2

مشاهير 4067

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

عالم نفس أميركي (1915-2016). ساهم في تطوير علم النفس المعرفي ونظرية التعليم المعرفية. شارك في الحرب العالمية الثانية

5+4+3+8+9=2 ■ عاصمة جزر القمر ■ 7+1+6 = شهر هجري ■ 10+11 = سقي النبات

حل الشبكة الماضية: باقوت الحموي

إعداد نعوم مسعود

تصفيات مونديال السلة

لبنان يستقبل السعوديّة وعينه على نهائيات آسيا

يستقبل منتخب لبنان لكرة السلة مساء اليوم (الساعة 21:00 بتوقيت بيروت) نظيره السعودي على ملعب مجمع نهاد نوفل في زوق مكايل، ضمن المباراة الثانية من النافذة الثالثة لتصفيات كأس العالم. المنتخب اللبناني يدخل مباراة اليوم منتشياً بفوزه الكبير على الأردن يوم الجمعة الماضي بنتيجة (89 ـ 70) وبانفراده بصدارة المجموعة الثالثة برصيد 9 نقاط أمام السعودية (8 نقاط) والأردن (8 نقاط) وأندونيسيا (5 نقاط) تواليا. ويمتلك لبنان أفضلية للفوز نظراً إلى الفوارق الفنية بين المنتخبين، ولا سيما أنه كان قد فاز على السعودية على أرض الأخيرة خلال النافذة الثانية في 27 شباط الفائت بنتيجة (81 ـ 68).

وستكون مباراة اليوم فرصة لمدرب لبنان جاد الحاج لإشراك أكبر عدد من اللاعبين في اللقاء، إلا أن التساهل يمكن أن يؤدي إلى نتائج سلبية للبنانيين، وخاصة أن المنتخب السعودي حقّق فوزاً مهماً في مباراته يوم الجمعة الفائت على أندونيسيا في جاكارتا بنتيجة (69 ـ 67). وفي حال فوز منتخب لبنان في مباراة اليوم كما هو متوقّع على الورق، فإنه سيرفع رصيده إلى 11 نقطة في الصدارة وسيتأهل إلى الدور الثاني المقرّر في آب المقبل حاملاً نقاطه معه كسائر المنتخبات المتأهلة.

ومن المتوقّع أن يعتمد المدرب جاد الحاج اليوم على قائد المنتخب علي حيدر، ومعه وائل عرقجي وأمير سعود وسيرجيو الدرويش والمجنس جوناثان أرليدج، على أن تكون هناك مشاركة إضافية من النجم الصاعد يوسف خياط، فضلاً عن كريم زينون وعلي منصور وغيلي شمعون لإراحة اللاعبين الأساسيين قدر الإمكان. ومن النقاط المهمة التي يمكن أن تساعد المنتخب اللبناني في مباراة اليوم هي المؤازرة الجماهيرية القوية، والتي ساعدت «منتخب الأرز» كثيراً على مباراته مع الأردن الماضية، ووضعت الأردنيين تحت الضغط.

وفي المباراة الثانية ضمن المجموعة ذاتها، يستضيف منتخب أندونيسيا نظيره الأردني في العاصمة جاكرتا، في مباراة سهلة على الورق للأردنيين، وخاصة أن أندونيسيا لم تذق طعم الفوز في التصفيات حتى الآن.

ومع طي صفحة «النافذة الثالثة» اليوم الإثنين، سيبدأ منتخب لبنان تحضيراته لكأس آسيا التي ستضيفها أندونيسيا بين 12 و24 تموز الجاري، مع العلم أن القرعة أوقعته في المجموعة الرابعة إلى جانب الفيليبين ونيوزيلندا والهند. وينص نظام التصفيات على تأهل المنتخبات التي تحتل المراكز الثلاثة الأولى في كل مجموعة من المجموعات الأربع إلى الدور الثاني، ما يعني ضمان لبنان والأردن والسعودية التأهل إلى الدور الحاسم إذ ستضمّها مجموعة مع كل من نيوزيلندا والهند والفيليبين (المتأهلة أصلاً لأنها إحدى الدول التي ستستضيف كأس العالم).

وسيواجه لبنان كلاً من نيوزيلندا والفيليبين والهند (ذهاباً وإياباً) في «النافذة الرابعة» المقرّرة في آب المقبل، و«النافذة الخامسة» المقرّرة في تشرين الثاني، والنافذة السادسة والأخيرة المقرّرة في شباط 2023، لتتحدّد على أثرها المنتخبات التي ستتأهل عن آسيا وأوقيانيا إلى نهائيات كأس العالم.

(الأخبار)

فاز لبنان على السعودية ذهاباً بنتيجة (81 ـ 68) (FIBA)

سينما

مئوية ولادة السينمائي الشيوعي صاحب الأفلام المتفجّرة بالرفض

بازوليني أحبّ الحياة بشراهة... ويأس

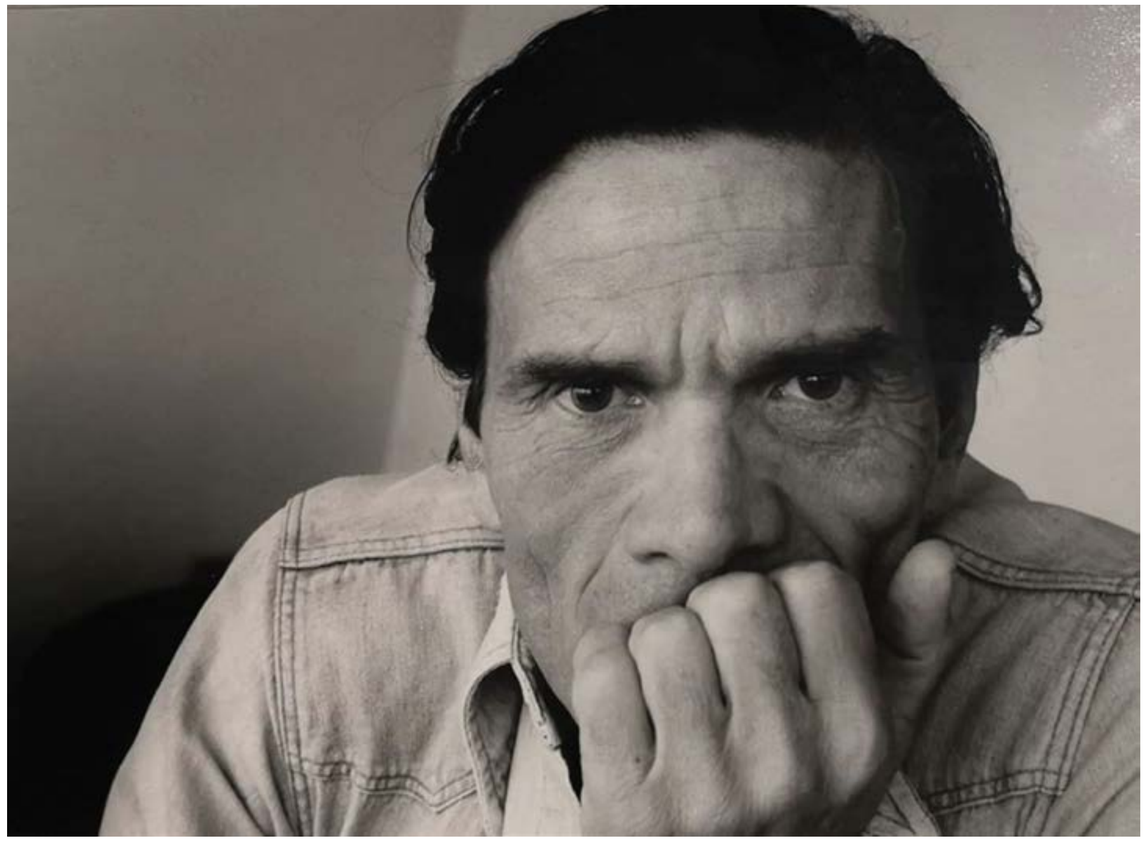

انحيازه تجاه الفقراء والمحرومين حفر سينماه

كان واضحاً أنه وُلد في شمال إيطاليا، لم يكن يأكل كميات كبيرة من الباستا... الإيطاليون الجنوبيون يأكلون أطباقاً ضخمة. كان يأكل مع القليل من الملح، منتبهاً جداً إلى صحته. كان يحب Aglio e olio طبق الصباغيتّي مع الثوم وزيت الزيتون، جنبها Sole Meuniere سمك موسى بالزبدة والليمون، يضع معها القليل من الفطر الطازج الندي. بعد الطعام، البيرة وبعض الفاكهة تخفيه. «أحب الحياة بشراهة ويأس مفرطين إلى حد يستحيل معه أن أجني منها أي

> أفلامه هزّت الطبقة السياسية والكنسية ومُنعت في عشرات البلدان

خير: أقصد بالحياة الجوانب المادية منها، كالشمس، كالعشب، كالشباب. إنني التهم والتهم والتهم، إلام سيؤول ذلك، لا أعرف».

محب الطعام والحياة هذا هو بيار باولو بازوليني (1922 – 1975)، الذي قُتل بتاريخ 2 تشرين الثاني (نوفمبر) 1975 بطريقة دموية. كيف؟ دهسا لمرات متكرّرة بسيارته الشخصية التي كان يقودها كويسيبو بلوزي، مراهق في السابعة عشرة من عمره. كسور عدة في جسده، خصيتان مدهوستان بعصى حديدية، وجسد حرق بعد الموت. اعترف الصبي بجريمته، قال إنّه كان «دفاعاً عن النفس، فبازوليني متحرّش». لكن عام 2005 تغيّرت الأقوال، بعد 29 عاماً، غيّر الصبي الذي بات رجلاً اعترافه. دافع عن كذبته، بحجة حماية عائلته المهددة، فـ«ثلاثة رجال من صقلية قتلوا بازوليني بعد نعته بالشيوعي القذر» هكذا قال. وكرّت سُبحة ملابسات الجريمة، لتتكشّف الدوافع والمجريات الحقيقة. «سالو» (1975)، فيلم بازوليني سُرق، أراد الرجل السفر إلى إستوكهولم لاستعادته، لكنه قُتل على يد قاتل ماجور. فُتحت القضية من جديد عام 2005، لكن القاضي قضى بعدم كفاية الأدلة لفتح التحقيق بالادعاءات الجديدة. تمكن من إحباطه. نشأ بازوليني وُلد بازوليني في بولونيا، المدينة الأكثر يسارية في إيطاليا. كان الابن الأكبر لوالدته المعلمة، ووالده ضابط المشاة السريع الغضب من أصول ثرية. كان والده مدمناً على الكحول ومقامراً واستبدادياً ومسيئاً إلى زوجته. لكنه مشهور بأنه أنقذ حياة بينيتو موسوليني، في هجوم في أسرة تقليدية وكاثوليكية، أحب الشعر منذ سن السابعة، كان يعشق والده، ولا يحب والده كثيراً. سوف تنعكس هذه المشاعر المتضاربة على عمله. في أحد أعظم أفلامه «الإنجيل بحسب القديس متى» (1964) أعطى بازوليني دور العذراء لسوزانا بازوليني، لوالدته، جعلها والدة المسيح، في حين أن كتابة الأول من القصائد Poesie a Casarsa (1942) المكرّس لوالده المكروه، كتبه باللغة الفريولية، اللهجة التي تتحدّثها عائلة والدته ويحتقرها والده. تُضاف إلى ذلك حقيقة أخرى هي أن جوديو، شقيقه الوحيد، سقط عام 1945 خلال الحرب العالمية الثانية، كان يبلغ 20 عاماً وكان يقاتل مع المقاومة. هذه الحقيقة الدرامية قوّت علاقته مع والدته أكثر.

كاثوليكي، ماركسي، إباحي، شاعر، كاتب مسرحي، سينمائي، فنّان غزير الإنتاج، متعدد التخصصات، عرف كيفية توجيه الأحداث المأساوية التي انتشرت في مسار حياته والتقطها في أعماله بعبقرية. عكست أعماله التناقضات التي نشأت في خضم التحولات المعقدة التي عانتها إيطاليا بعد الحرب العالمية الثانية: الانتقال من الفاشية إلى الديموقراطية أو الانتقال اللاحق من مجتمع

«الإنجيل بحسب القديس متى» (1964)

«بدائي» إلى وضع أسس الاستهلاك الجماهيري. جعله إرثه الفني أكثر المفكرين الإيطاليّين احتراماً في القرن العشرين. كانت لديه موهبة فطرية طبعها على جوانب أعماله المختلفة: اللغويات والرسم والسينما... كلها كانت في النهاية هروبه من حياة مثيرة للجدل. طور الشاب بازوليني تفكيره النقدي الخاص، الذي تساءل من خلاله عن العديد من تلك التقاليد الذي نشأ عليها. هذا النقد تبلور في أعماله الإشكالية. مثليّته الجنسية، موقفه من الرأسمالية المتوحشة وقربه من الحزب الشيوعي وحتى اهتمامه البيئي، رفض قطاعات معينة من السلطة واليمين المتطرّف. ذو تنوع ثقافي استثنائي، مراقب يقظ للتغيرات في المجتمع الإيطالي بعد الحرب حتى منتصف السبعينيّات. غالباً ما أثار جدلاً قوياً ومناقشات محتدمة بسبب راديكالية أحكامه تجاه العادات البرجوازية والمجتمع الاستهلاكي الناشئ، أيضاً تجاه Sessantotto (احتجاجات عام 1968). عاش بازوليني حياة مأساوية تحولت إلى حرب صليبية وانتهت بموت قاسٍ، عنف لم يكن يستحقه.

محبوب ومكروه، يدين الأعراف والنفاق. كان من أوائل المضطهدين، طُرد من الحزب الشيوعي الذي كان يعتبر المثلية الجنسية انحطاطاً برجوازياً. ومع ذلك، فإن الطرد لا يقلل من قناعاته السياسية، كان دائماً شيوعياً. عام 1950 انتقل إلى روما مع والدته، وانغمس في أجواء الضواحي. بائعات الهوى وشباب الشوارع هم أبطال رواياته، حتى إنهم يعرّفون أنفسهم بلغته. بالرغم من كثافة كتاباته، فإنه كرس نفسه لرواية «بيترليو» غير المكتملة، التي يروي فيها قصة رجل مهووس بالإثارة الايروتيكية المتطرّفة. يصف فيها بعض التجارب الجنسية المثلية، التي تشمل طقوس عربدة البطل مع 20 فتى بروليتارياً في قطعة أرض شاغرة في ضواحي المدن. الرواية أخذته إلى المسرح. عام 1968 كتب بيانه الشهير لمسرح جديد. من خلال 33 نقطة رئيسية وخاتمة تضمّنها البيان، حاول استعادة الكلمة كأداة للفكر والنقد، والابتعاد عن المسرح البرجوازي التقليدي. أطلق «مسرح الكلمة» وأيّد الدراما الأثينية القديمة التي وضعت الكلمة على الساحة، وكان مدافعاً عن المسرح الذي يجب أن يكشف مشكلة الثقافة ويكون بمثابة محفّز للتفكير. وأكّد أن مساحته المسرحية لم تعد المسرح، بل الرأس.

أزعج بازوليني برواياته وشعره ومسرحه قطاعات معينة من النخبة الإيطالية، وكانت المشكلات موجودة دوماً. ومع ذلك، بدلاً من الشعور بالخوف، تقدم بازوليني إلى الأمام أكثر. من الآن وصاعداً، لن يقرؤوا أفكاره فحسب، بل سيشاهدوها على الشاشة الكبيرة. دخل السينما في عمر الـ39 تحت إشراف فيديريكو فيلليني، وأصبح مخرجاً غزير الإنتاج، جمع في أفلامه الواقعية والمفاهيم الثورية للثقافة والجنس والعنف والسادية. بدأ مع Accattone (1961) وعبّر عن روما الهامشية والضعف الاجتماعي والإقصاء والفقر، بأسلوب لا يخلو من السخرية والنظرة النقدية. ثم جاء «ماما روما» (1962) ضمن إطار التيار الواقعي الجديد الذي واصل إظهار كل تلك الظروف الاجتماعية، بأسلوب وثائقي تقريباً وتقنيات أكثر تقشفاً. ثم برز «الإنجيل بحسب القديس متى» (1964) كصفعة في وجه الجميع والكنيسة. طريقة تقديم الفيلم كانت مفاجئة، ليس بسبب وقوف أحد المخرجين الملحدين خلف الكاميرا، بل لأن بازوليني قدم الفيلم انطلاقاً من رؤية ماركسية. مسيح بازوليني راديكالي مصمّم على تغيير العالم، ذو ملامح سامية، وبشرة داكنة وعينين سوداوين. أبدع بازوليني من جديد وصنع «تيوريما» (1968)، فيلم بفكرة مجردة مشبعة في الرمزية. زائر غريب غامض في منزل أسرة إيطالية ثرية، يتصل روحانياً وجنسياً مع كل فرد من الأسرة، يغوي الخادمة والابن والأم والابنة وأخيراً الأب قبل أن يغادر. «تيوريما» غامض شاعري يقلب فيه بازوليني حياة عائلة رأساً على عقب، ويترك فيه الزائر أنواعاً مختلفة من الأزمات الأخلاقية والوجودية. يبيّن الفيلم خواء وضحالة المجتمع، بازوليني يكشف فكرة الإغواء والاضطرابات النفسية، يلعب على الفكرة من دون أن يعطي حلولاً، فبازوليني لا يعظ. مع مغنية الأوبرا ماريا كالاس، خلق بازوليني «ميديا» (1969) الأسطورة الإغريقية الشهيرة نقلاً عن مسرحية يوريبيديس الشهيرة. 12 فيلماً صنعها بازوليني، وكان الأخير «سالو» (1975) الذي اختصر كل شيء. عمل على هذا الفيلم بحرية هائلة، ابتعد عن التقاليد وتأرجح بين العناصر الذي يذكرها بعضهم بأنها إباحية وسادية. الفيلم مأخوذ من رواية «120 يوماً في سدوم» لماركي دو ساد. صوّر بازوليني ما كتبه دو ساد. لا مهرب لكل من في الفيلم، الكل محكوم عليهم بالموت أو الجنون. «سالو» فيلم عن الغضب والحزن، يطلب منك أن تكره الإنسانية والبرجوازية، وما نحن قادرون على أن نفعله بأنفسها والغير. ثم البكاء، لأن لا شيء يمكن أن يتغير.

أفلام بازوليني هزت الطبقة السياسية والكنيسة وحظرت في عشرات البلدان. كان يؤمن أن ما تغيّر ليست لغة الأشياء، بل الأشياء نفسها، وأن المجتمع الاستهلاكي هو المكان الذي يجب فيه توجيه النقد السياسي، لأن البرجوازية برأيه ليست طبقة اجتماعية. إنها مرض معد. عرف أن المجتمع الاستهلاكي سيصل إلى أقصى درجات الشمولية، لأنّه سهل، فكل شيء في متناول يده: المال والوقت. ويؤكد أن الأشخاص القلائل الذين كتبوا التاريخ هم أولئك الذين قالوا لا، وليسوا رجال الحاشية ومساعدي الكرادلة. البرجوازية ليست بديلاً ولكنها استمرار للسلطة. طعن بازوليني عش دبابير الاجتماعي والسياسي والديني. خرجت عبقريته بطريقة عنيفة ومتقلّبة وأعماله استمرت إلى اليوم في منح الناس شيئاً يتحدثون عنه. كان سينمائياً وكاتباً وشاعراً ومواطناً، اهتم بوطنه وبكى على انقاض إيطاليا من دون أي ذرة من الخطابية. هذه المشاعر تجاه الوطن والفقراء والمحرومين حفّزت سينماه. في الليلة التي سبقت اغتياله، أجرى بازوليني مقابلة تلفزيونية تحدث فيها عن مخاطر الفاشية. وكان آخر مكان ذهب إليه قبل مقتله هو Al Biondo tevere. لقد كان هناك مع بلوزي نفسه... قاتله؟

بعض أفلامه متوافر على MUBI

يكتبها **شفيف طبارة**

ستريمينغ

«صخب»: كرة السلّة تزفّ إليكم الحلم الأميركي

يحب الاميركيون القصص التي يرتقي فيها الأشخاص نحو النخبة من الأسفل بفضل العمل الشاق والمثابرة. إنها طريقة تتبع فيها هوليوود «الحلم الأميركي» لنا. ولتوصيل هذا الحلم، بطريقة بسيطة ومريحة، تلجأ شركات الإنتاج إلى الأفلام الرياضية. لطالما نقلت السينما قصص الرياضيين الطموحين ومدربيهم، وفيلم جيريميا زاغار «صخب» (2022) لا يختلف كثيراً.

في «صخب»، لدينا لاعب كرة سلة يريد الوصول إلى الدوري الأميركي لكرة السلة للمحترفين (NBA). ولبلوغ الحلم، يحتاج إلى جرعة كبيرة من المثابرة والمعاناة، وكذلك إثبات الذات والسلوك الصحيح. لهذه المناسبة، لاعب كرة السلة المحترف خوانشو هيرنانغوميز يلعب دور بو كروز، الشاب الذي يحلم بلعب كرة السلة في أميركا.

> جرعة كبيرة من العاطفة والشعبوية

ولذلك يساعده كاشف المواهب ستانلي شوغرمان (آدم ساندلر) مع وجوه كثيرة مثل روبرت دوفال وبن فوستر وكوين لطيفة والعديد من الوجوه الجديدة والقديمة الشهيرة في عالم كرة السلة. «صخب» فيلم رياضي مليء بالرسائل المبتذلة حول عدم الاستسلام ومطاردة الأحلام وتمارين كرة السلة المزوجة بالدراما العائلية.

إذا كنت من محبي كرة السلة، يمكن للفيلم أن يسعدك بسبب العدد الكبير من مشاهير اللعبة في الفيلم، من بينهم اللاعبون والمدربون وحتى المعلّقون. لذلك ليس من المستغرب أن يكون اللاعب ليبرون جيمس مشاركاً في الإنتاج، وأيضاً ليس مستغرباً أن يكون آدم ساندر بطل القصة لأنه يحب اللعبة جداً. القصة بسيطة وقديمة قدم الكوكب، يمكن التنبؤ بها من الدقائق الأولى، ويمكن رؤية النهاية من على بعد أميال. يهدف الفيلم إلى التحدث عن الحياة نفسها من خلال استعارة لعبة رياضية، ويمكن التعرف بسهولة كيف يدمج الفيلم إرث الـ Mamba Mentality في مخطّطه السردي، وهو مصطلح صاغه اللاعب الكبير الراحل كوبي براينت الذي يعبّر عن طريقته لمواجهة العقبات، سواء في الرياضة أو في الحياة.

يلامس «صخب» جوانب مختلفة عن لعبة كرة السلة للمحترفين، وهناك ملاحظات على جوانبها التجارية، وعلى السياسات والمواقف العدائية والتنافس بين الفرق. لم يهتم المخرج كثيراً بضبط أساسيات الفيلم، فمشى الشريط بطريقة تقليدية بلا دقة وتلاشى منذ البداية، مع جرعة كبيرة من العاطفة والشعبوية التي يمكن أن تجذب محبي الرياضة. سيستمتع المشجعون برؤية خوانشو هيرنانغوميز كممثل، استمتعنا بمشاهدته يتدرب ويلعب، ولكن كممثّل فهو خشبي نوعاً ما. «صخب» يفتقد إلى الأصالة، ولأننا نحب اللعبة، فإنها تستحق فيلماً أفضل.

Hustle على نتفليكس

الأخبار
al-akhbar
الإثنين 4 تموز 2022 العدد 4670

رحيل

بيار شمعون... ترك لنا الضحكة

صَدَم بيار شمعون (الصورة) محبّيه والجمهور برحيله المفاجئ خلال نهاية الأسبوع بعدما تعرّض إلى وعكة صحية على إثر شعوره بألم في صدره، ما استدعى نقله على وجه السرعة إلى المستشفى التي ما لبث أن فارق الحياة فيها صباح أوّل من أمس السبت.

الممثل الذي اشتهر خصوصاً بالأدوار الكوميدية من مواليد زحلة في نهاية خمسينيات القرن الماضي، درس المسرح في الجامعة اللبنانية، قبل أن يسجّل حضوره في أوّل أعماله وهو مسرحية «جزيرة العصافير» لشكيب خوري. بعدها، عبّد الراحل طريقه إلى قلوب اللبنانيين بشخصيات محبّبة على الخشبة والشاشتَيْن الصغيرة والكبيرة في أعمال نذكر منها: «عمتي نجيبة»، و«هَريبه يا أوادِم»، و«عيوق ورفقاتو»، و«عريسين مدري من وين»، و«طار الحمام غط الحمام»، و«ملا علقة»، و«كاش فلو» وغيرها. رسّخ شعبيته بين أبناء بلده بحضوره الثابت ضمن برنامج «بس مات الوطن» لشربل خليل، ليخرج في السنوات الأخيرة من عباءة الكوميديا من خلال شخصيات منوّعة، خصوصاً «المختار صقر» التي لعبها عام 2021 في مسلسل «رصيف الغرباء» (إخراج إيلي معلوف) الذي كتبه شقيقه طوني شمعون وأدّت بطولته ملكة جمال لبنان السابقة رهف عبد الله. نعت نقابة الممثلين اللبنانيين الممثل الذي احتُفل بالصلاة لراحة نفسه أمس الأحد في «كنيسة مار ضومط» في برج حمّود (طريق النبعة). وقالت النقابة في بيانها إنّ شمعون «أفنى حياته على شاشة التلفزة والمسرح والسينما»، متقدّمةً من «كل الزملاء وعائلة الفقيد بأحرّ التعازي».

أما وزير الثقافة في حكومة تصريف الأعمال، القاضي محمد وسام المرتضى، فأكّد في بيان أنّ الراحل «نجم جديد يسقط من فضاء الفن اللبناني، بعد عقود طويلة من التألق على المسارح والشاشات. بيار شمعون الذي سكن عيون أجيال في مختلف الأدوار التي لعبها، أغلق اليوم الصفحة الأخيرة من كتاب عمره الزمني، ليفتح الصفحة الأولى من كتاب عمره النوراني، وهاجر من الأرض التراب ليُقيم في ذاكرة الثقافة وأشواقها». وتابع: «عزاؤنا الحارّ لعائلتيه الصغرى والكبرى وللوطن الذي سيفتقد حضوره».

خبر وفاة شمعون استدعى موجة من التعليقات على مواقع التواصل الاجتماعي، إذ راح الزملاء ومحبّوه ينعونه ويستذكرون خصاله وأبرز أدواره. في هذا السياق، كتب الممثل سمير شمص: «وداعاً يا رفيق الدرب المحب بيار شمعون، بكّرت يا صاحبي وأدميت قلبي». من ناحيتها، نشرت النجمة كارول سماحة بوستاً قالت فيه: «رح نشتقلك بيار شمعون الله يرحمك»، فيما كتبت الممثلة جيسي عبدو: «يا بيارو يا رفيق البسمات يا صديق الأيام الحلوة شو هالخبرية هيدي؟ مش عم صدّق بشع كتير هالخبر يا بيار بكّرت كتير... الله يرحمك يا طيّب يا آدمي... رح نشتقلك كتير».

يستمر تقبّل التعازي اليوم الإثنين من الساعة الحادية عشرة صباحاً لغاية الساعة السادسة مساءً في صالون «كنيسة مار أنطونيوس الكبير» في جديدة المتن.

المفكرة

«طرف تالت» إلى السينمات

■ يبدأ عرض الفيلم اللبناني «طرف تالت» في الصالات اللبنانية في السابع من تموز (يوليو) الحالي. الشريط كوميدي اجتماعي من إنتاج شركة «فالكون فيلمز» لصبحي سنان، ومن تأليف دانيال حبيب وكامي كبابة وإخراج سامي كوجان. يجمع الفيلم الممثلين: عباس جعفر ، فؤاد يمين، أمل طالب، سارة أبي كنعان، سيلفيو سركيس وختام اللحام. يروي العمل قصة ثلاثة أشقاء (فؤاد، سارة وسيلفيو) يكتشفون أنّهم بحاجة إلى تطبيق شروط معيّنة ومعقّدة ليحصلوا على نصيبهم من إرث والدهم الراحل، تحت إشراف الشخصية التي يجسّدها. تم تصوير «طرف ثالث» في بيروت ويتضمّن أغنية خفيفة بصوت جعفر الذي يتخلّى في هذا العمل عن لهجته البعلبكية.

فيلم «طرف تالت»: بدءاً من الخميس 7 تموز في صالات «غراند سينما» (01/209109)، «أمبير» (1269)، «فوكس» (01/285582)

عزّزوا صحتكم النفسية بالـ«ماندالا»

■ الـ«ماندالا» هو أحد الفنون الهندية القديمة التي تعتمد على الدوائر والأشكال الهندسية المنبثقة من نقطة محورية في مركز التصميم. تزايد الاهتمام بهذا الفن في الآونة الأخيرة بعد إشارة عدد من الدراسات إلى دوره في تحسين الصحّة النفسية، إذ

حُكي عن أنّ تأثيره مشابه لـ «التأمّل» وأنّ المواظبة على ممارسته تُفيد في «تعديل المزاج، علاج الاكتئاب وتعزيز الثقة بالنفس». من بعد الإقبال الكثيف على ورشة عمل «رسم الماندالا والتأمل» التي أجريت الشهر الماضي، قررت «جمعية السبيل» تكرار التجربة وإقامة ورشة جديدة في 14 تموز (يوليو) الحالي في «مكتبة بلدية بيروت العامة» في الباشورة.

ورشة رسم الـ «ماندالا»: الخميس 14 تموز ـ س: 16:00 ـ «مكتبة بلدية بيروت العامة» في الباشورة (بناية الدفاع المدني/ الطبقة الثالثة ـ الباشورة). للاستعلام: 01/664647

«جدار» ميرا صيداوي... موعد بيروتي

■ تدعو «دار النمر للفن والثقافة»، في 14 تموز (يوليو) الحالي، إلى حضور عرض فيلم «الجدار» للممثلة والمخرجة والمنتجة والكاتبة الفلسطينية ميرا صيداوي (الصورة). فكرة الشريط تنطلق من حلم الشباب بالسينما والمسرح والفنون في مخيم شاتيلا، وهي أحلام رمزية تشي بحب الحياة والعيش مع أمل العودة إلى فلسطين. تتمحور الأحداث حول أربعة شبان، سميح وعمر وملاك وريان، ورغبتهم بدعوة نجم الروك العالمي رودجر ووترز إلى إحياء حفلة أو تقديم عمل سينمائي في المخيم اللبناني، لدعم صمودهم وللتعبير عن الضغوطات التي يرزحون تحتها. يتتبع العمل مغامراتهم المضحكة والخطيرة في بعض الأحيان، ويكشف عن تعقيدات العيش كلاجئ داخل مدينة بيروت

النابضة بالحياة التي مزّقتها الحرب، والتي تُشكّل مفترق طرق للإبداع والجريمة والتحولات المُخدِرة. يلي العرض حوار مع المخرجة.

عرض فيلم «الجدار»: الخميس 14 تموز ـ س: 11:00 ـ «دار النمر للفن والثقافة» (شارع أميركا ـ كليمنصو/ بيروت). للاستعلام: 70/807473

على بالي

أسعد أبو خليل

هل اغتيل جمال عبد الناصر؟ ليس هناك من دليل أبداً، لكنّني أرجّح أن يكون قد اغتيل. في عهد جون كنيدي، افتُتِنَ الرئيس الشاب وأخوه روبرت في وزارة العدل بالاغتيال والعمليّات السريّة. أطلقا العنان للمخابرات الأميركيّة لتُعاقب أعداء أميركا وتقتل وتفجّر بسرية. الرجلان تأثّرا بكتب إيان فليمينغ الذي خلق شخصيّة جيمس بوند. عبد الناصر أزعج حكّام أميركا كثيراً وكانت له سطوة في كل دول العالم النامي. اجترح مصطلحات لا تزال سارية في الخطاب السياسي العربي (ولم تكن معروفة قبلاً): عن الحلّ العادل والشامل وعن العدل الاجتماعي وعن الكبرياء ومحاربة الاستعمار وعن التأميم وعن ثروات العرب وحقّ العرب فيها. هو لم يبالغ عندما شدّدَ في خطاب المنشيّة (بعد محاولة الاغتيال الفاشلة له من قبل الإخوان المسلمين) على مفهوم العزّة والكرامة. هذه مفاهيم لم ينطق أو يشدّد عليها أيّ زعيم عربي قبله أو بعده. عبد الناصر حرّك الجماهير وحرّك أفراداً في الأسر الحاكمة. كم كان تأثيره كبيراً كي يُحفِّز أمراء في آل سعود كي يلتحقوا به (كل رواية طلال بن عبد العزيز عن «الأمراء الأحرار» كانت خيالية لأنّه كان يريد الغفران من أعضاء الأسرة ــ هو طار بملء إرادته إلى القاهرة وأعطى تصريحات موجودة في الأرشيف). أميركا وإسرائيل والشاه وآل سعود أرادوا أن يتخلّصوا منه. روى محمد حسنين هيكل عن تسميمه بواسطة السادات لكن ليس من دليل. أنا مرّة سألتُ مسؤولاً أميركيّاً سابقاً في وزارة الخارجيّة عن اغتيال عبد الناصر فقال لي: ولو كنتُ أعرف هل أعترف لك بذلك؟ صحيح، هناك أمراض وبعض الناس يموتون في سنّ مبكرة ميتة طبيعيّة، لكنني مرتاب في الأمر. وعبد الناصر حمل هموماً لم يحملها أيّ عربيّ منذ زمن الرسول. كل الأمّة العربيّة (وبعض الإسلاميّة) كانت تعلّق عليه الآمال الكبيرة. هذا عبء ينوء تحته البشر والآلهة (في الأساطير). ثم نحن نعلم عن عدد محاولات الاغتيال التي رتّبتها أميركا ضدّ كاسترو، وعبد الناصر أزعج أميركا أكثر من كاسترو بكثير.

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الإثنين 4 تموز 2022 العدد 199
Lundi 4 Juillet 2022 no199

الأخبار

رأس المال

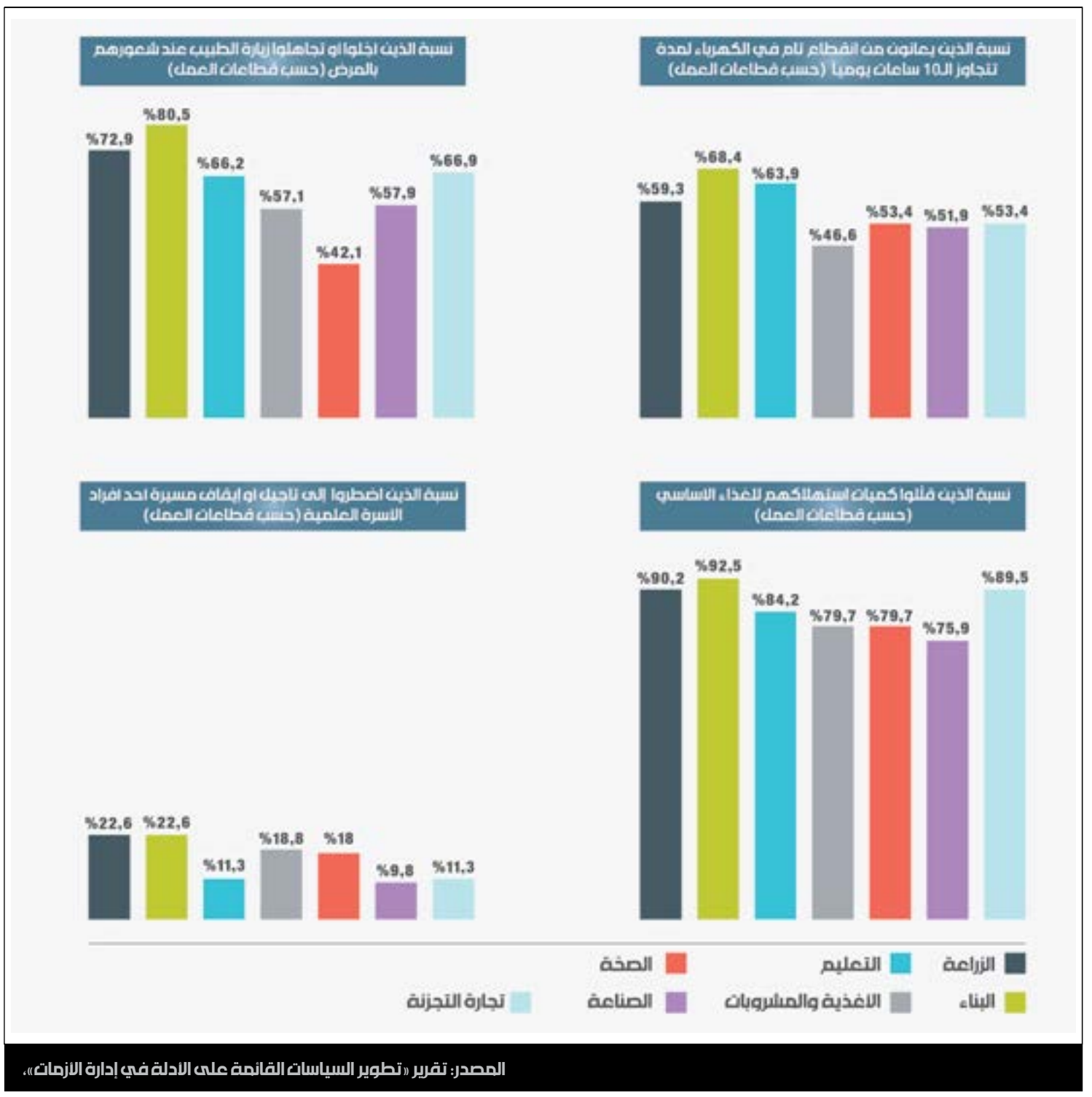

المصدر: تقرير «تطوير السياسات القائمة على الأدلة في إدارة الأزمات».

في العدد

02
ماهر سلامة
إدارة الفشل المصرفي

04
مقابلة
علي القادري: أميركا تسعى لإعادة صياغة العولمة

06
علي عواد
مستقبل الديجيتال في ظل تفكّك العولمة

07
جوزيف ستيغليتز
إدارة تفكّك العولمة بالشكل الصحيح

08
زياد حافظ
الملتوثية الجديدة

معاينة الأزمة بعد ثلاث سنوات: الحرمان الممتدّ

خلال السنوات المقبلة سنُعاين تداعيات الانهيار ومفاعيله على المجتمع والاقتصاد. المسألة لا يمكن اختزالها بما خسرته الأسر من مداخيلها وثروتها فقط. وإنما الأمر يتعلّق أيضاً بكلفة تفكّك المجتمع وما سترتّبه على المدى المتوسط والطويل. ففي الحالة الراهنة، صار الحرمان هو السمة الأساسية في الخدمات الأساسية. ولا يقتصر الأمر على ذلك، إذ إن تدنّي مستوى الخدمات إلى مستوى يصعب تعويضه على المدى المتوسط والطويل. إنه الحرمان المستدام!

بعد أكثر من ثلاث سنوات على انفجار الأزمة، بكلّ ما انطوت عليه من مفاعيل تضخّمية، يمكن القول إنّ الطبقة الوسطى من العائلات كانت قادرة على الصمود، وإن وقعت ضمن خطوط الفقر العليا، بسبب التحويلات التي كانت تحصل عليها من أقارب لها في الخارج، أو من تقديمات المجتمع المدني في الداخل، أو لأن مداخيلها تعدّلت جزئياً وإن لم تعوّض كامل قيمة التدهور في القدرة الشرائية التي أصابتها. رغم ذلك، لم تكن هذه الأسر تحصل على الخدمات الأساسية مثل الكهرباء والماء والتعليم والصحّة.

ففي مقابل ارتفاع في معدل الأجر الوسطي المصرّح عنه للضمان الاجتماعي، بنسبة 134%، أي من 2,080,000 ليرة قبل الأزمة (مع احتساب بدل النقل 8000 ليرة يومياً)، إلى نحو 4,800,000 ليرة، إلّا أن ذلك لا يعوّض تضخّماً متراكماً على نحو يصل إلى 1000%. لذا، كان هناك شكل آخر من الصمود مردّه إلى تلقّي المساعدة المباشرة التي تتوزّع بين مساعدات داخليّة وخارجيّة. يَظهر متلقّو المساعدات في نتائج الاستبيان الذي نشرته الجامعة الأميركيّة في بيروت تحت عنوان «تطوير السياسات القائمة على الأدلة في إدارة الأزمات»، والذي أجرته كلٌ من ليلى داغر، إبراهيم جمالي، أسامة أبي يونس ومايا فتّال. يُشير الاستبيان إلى أنّ نسبة الأسر التي تتلقّى مساعدات، تختلف بشكل كبير بين القطاعات. فهي تُراوح بين 6% من الأسر في بعض القطاعات (مثل قطاع الزراعة) لتبلغ 16% في بعض القطاعات الأخرى (مثل قطاع مبيعات التجزئة والصناعة وغيرها).

رغم ذلك، فإنّ العاملين في مختلف القطاعات يعانون، بحسب الدراسة، من أزمات مختلفة؛ فتتراوح نسبة الذين يشهدون انقطاعات تامّة في الكهرباء لأكثر من 10 ساعات يومياً بين 47% و68%. وبعض هؤلاء يشهدون انقطاعات تُجاوز 20 ساعة يومياً. كذلك هو الحال في الخدمات الصحيّة، إذ إن ارتفاع كلفة الاستشفاء جعل خدمة الطبابة أشبه بخدمات رفاهية لا يحظى بها إلا الأغنياء. ويظهر هذا الأمر من خلال مؤشرات عدّة مثل ارتفاع نسبة الأشخاص الذين أجّلوا أو تجاهلوا زيارة الطبيب عند شعورهم بالمرض. هذا الأمر سينعكس لاحقاً في انخفاض معدّل العمر المتوقّع في لبنان، إذ إنّ تجاهل الحالات المرضيّة لأسباب ماديّة، يصعّب اكتشاف الأمراض الخطيرة في أوقات مبكرة، ما يصعّب إطالة حياة المريض.

كما ظهرت صعوبات في حصول العاملين وأسرهم على التعليم، ففي معظم القطاعات اضطر نحو 20% من الأسر أن يوقفوا أو يؤجّلوا المسار التعليمي لأحد أولادهم على الأقلّ. وهذا الأمر سيؤثّر بشكل مباشر على معدلات التعليم في البلد، إذ سترتفع نسبة الأشخاص الذين لا يتلقّون تعليماً أساسياً حتى، وقد يترافق هذا الأمر مع ارتفاع معدّل الأمّية في البلد، مع ما يعنيه ذلك من انعكاس على الاقتصاد وعلى نوع القوى العاملة التي ستدخل إلى السوق في السنوات القادمة.

أما بالنسبة للأمن الغذائي، فإن الأسر في معظم القطاعات اضطرت إلى تغيير أنماطها الغذائيّة بشكل كبير، وأحد المؤشرات على ذلك هو أن نسبة الأسر التي اضطرت أن تقلّل من كميّة الغذاء الذي تشتريه تُجاوز الـ75% في كلّ القطاعات وتصل إلى 92% في بعضها. انخفاض مؤشرات الأمن الغذائي تعني مخاطر الوقوع في الجوع، وهو عامل مؤثّر على مستوى الصحّة بشكل مباشر أيضاً.

مقال

لم تكن الاستجابة للأزمة المصرفيّة اللبنانية، إذا وُجدت، سريعة، أو يمكن مقارنتها مع المعايير العالمية المستخلصة من تجارب سابقة. بل تُركت إدارة دفّة الأزمة إلى حاكم مصرف لبنان الذي كان هدفه الأوّل والاساسي حماية رساميل المصارف اللبنانية وليس العمل المصرفي بأبعاده الاقتصادية والاجتماعية المتّصلة بالصالح العام. يمكن القول انّ السلطة بكامل ركائزها ومكوّناتها، النقدية والسياسية والقضائية، رفضت او تنحّت عن تحمّل مسؤولياتها تجاه المجتمع فلم تبادر لغاية الآن، بعد مرور أكثر من ثلاث سنوات على الأزمة، إلى احتواء تداعياتها وتقديم تصوّر واضح للعلاج. النتيجة حتى اليوم، خسائر فادحة متراكمة من اجل كسب الوقت

إدارة الفشل المصرفي
وقت ضائع وخسائر مضاعفة

ماهر سلامة

إلى حدّ ما، تشبه الأزمة المصرفية في لبنان، وهي جزء من أزمة مالية - نقدية - اقتصاديّة، الأزمات المصرفيّة التي أصابت دول أميركا اللاتينيّة. في تلك الدول، كما في لبنان، كان القطاع المصرفي متجذّراً في الدولة، وأصوله مدولرة، في ظلّ دولة ليست قادرة على استعمال أدوات التدخّل. بحسب كتاب هشام صفي الدين «دولة المصارف: تاريخ لبنان المالي»، فإن بداية القطاع المصرفي وانطلاقته تعود إلى العشرينيات. ومن سماته الأساسية أن أصوله مدولرة إلى حد كبير، إذ إنه عشيّة إقفال المصارف في 17 تشرين الأوّل من عام 2019، شكّلت الودائع المقوّمة بالدولار في المصارف اللبنانية نحو 73% من القطاع المالي. والدولة اللبنانية لم تستعمل الأدوات الكافية للقيام بالياتِ التدخّل الإنقاذيّة. هذه الظروف كلها تنطبق على مجموعة من الأزمات المصرفية اللاتينيّة التي درسها دافيد هولشر ومارك كوينتن في ورقة بحثية بعنوان «إدارة الأزمات المصرفيّة» استخلصت الطرق الأمثل للتعامل مع أزمات المصارف من بدايتها حتى نهايتها.

احتواء الأزمة

من أهم الأمور المطلوبة خلال الأزمات، أن تقوم الجهات المسؤولة بإجراءات سريعة للتخفيف من حدّة الأزمة واحتوائها. وهو ما لم يحصل في لبنان. أولى الخطوات بعد حدوث أي أزمة مصرفيّة هي المسارعة إلى محاولة السيطرة على التبعات المباشرة، بهدف منع حصول هجمة مودعين على المصارف لسحب ودائعهم. هجمة كهذه تسبّب بوقوع أي مصرف في العالم في أزمة سيولة، مهما كان وضعه صحيحاً. إذ إن المصارف توظّف الأموال التي تجمعها من المودعين في استثمارات مختلفة مثل القروض والأدوات المالية وسواها من عمليات التوظيف المتاحة لها من الهيئات الناظمة. فإذا أقبل المودعون بشكل جماعي وعشوائي لسحب ودائعهم، بسبب القلق من الأزمة المصرفية، لا يملك أي مصرف السيولة الكافية لتلبية الطلب على سحب كل الودائع بشكل فوري. لذا، من المهم في بداية أي أزمة أن تضمن الجهات المسؤولة، سواء كانت الحكومة او الجهة الرقابيّة المعنية بالرقابة على المصارف، عدم حدوث حالة فوضى وتزاحم على المصارف.

بحسب هولشر وكوينتن، يمكن منع هذا الأمر من خلال طريقتين فقط هما:

- الطريقة الأولى: أن تقوم الدولة بتأمين السيولة اللازمة للمصارف لتلبية الطلب الأوّلي على الودائع، الذي ينتج من حالة الذعر والقلق من وجود أزمة. بهذه الطريقة، تكون الدولة قد قدّمت ضمانات فعليّة للمودعين بأن ودائعهم في وضع سليم وآمن. فمثل هذا التدخّل يهدّئ من حالة الهلع، ويعطي الجهات المسؤولة الوقت الكافي للتصرّف ووضع إطار عمل لمواجهة الأزمة المصرفيّة. ومن الطبيعي أن لا تقوم الدولة بإعطاء هذه السيولة للمصارف المتعثّرة (Insolvent)، هنا من المهم التفريق بين المصارف الفاقدة للسيولة (أي التي لا تقدر على تامين الالتزامات قريبة الأجل) وبين المصارف المتعثّرة (التي لا قدرة لها على تأمين الالتزامات القصيرة الأجل ومتوسطة الأجل). فتغطية السيولة، كما يقول هولشر وكوينتن، لا يجب أن تعطى للمصارف المتعثّرة. هذه الطريقة تحتاج إلى قدرات ماليّة كبيرة تستطيع أن تؤمنها الدّولة، وهو أمر لم يكن متاحاً لدى الدّول اللاتينيّة خلال أزماتها. أما في لبنان، فالسيولة جرى استعمالها بواسطة القرار السياسي من أجل الاستمرار في إنكار الأزمة. بمعنى آخر، لم يكن لدى صانعي القرار في لبنان سوى خيار تبديد السيولة المحدودة للحفاظ على استمرارية وجودهم كنخب حاكمة.

- الطريقة الثانية: إعطاء ضمانات مؤقتة على الودائع (Blanket Guarantee). بمعنى أن تقوم الدولة بالإعلان أنها ستضمن الودائع تحت سقف معيّن. وبهذه الطريقة تخفّف من قلق فئة كبيرة من المودعين، علماً بأن عدد المودعين الذين يملكون ودائع صغيرة هو الأكبر بين عموم المودعين، والحدّ من قلق هؤلاء يسهم في تفادي أي تزاحم على سحب الودائع. إلا أن هذا الأمر لم يحدث في لبنان لا في بداية الأزمة المصرفيّة اللبنانية ولا خلالها، إلا في الخطط الحكوميّة التي لم يُقرّ أي منها حتى اليوم، وهو ما أسهم في تهافت المودعين على المصارف لسحب ودائعهم. فتسبّب هذا الأمر في وضع جميع المصارف في مأزق، حتى تلك التي كانت قادرة على الاستمرار (إذا وُجدت).

إعادة الهيكلة

وفي إطار مثل هذا التدخل، تبدأ بعد احتواء الأزمة عملية إعادة الهيكلة. وهذه العمليّة مهمّة لإعادة الاستقرار إلى القطاع المصرفي، بهدف إعادة الثقة إليه. ويقول الباحثان هولشر وكوينتن، أن البداية تكون بعد تصنيف المصارف إلى:

1) مصارف مطابقة للمعايير ووضعها جيّد.

2) مصارف متعسرة غير قابلة للاستمرار.

3) مصارف قابلة للاستمرار لكنها تحتاج إلى إعادة رسملة.

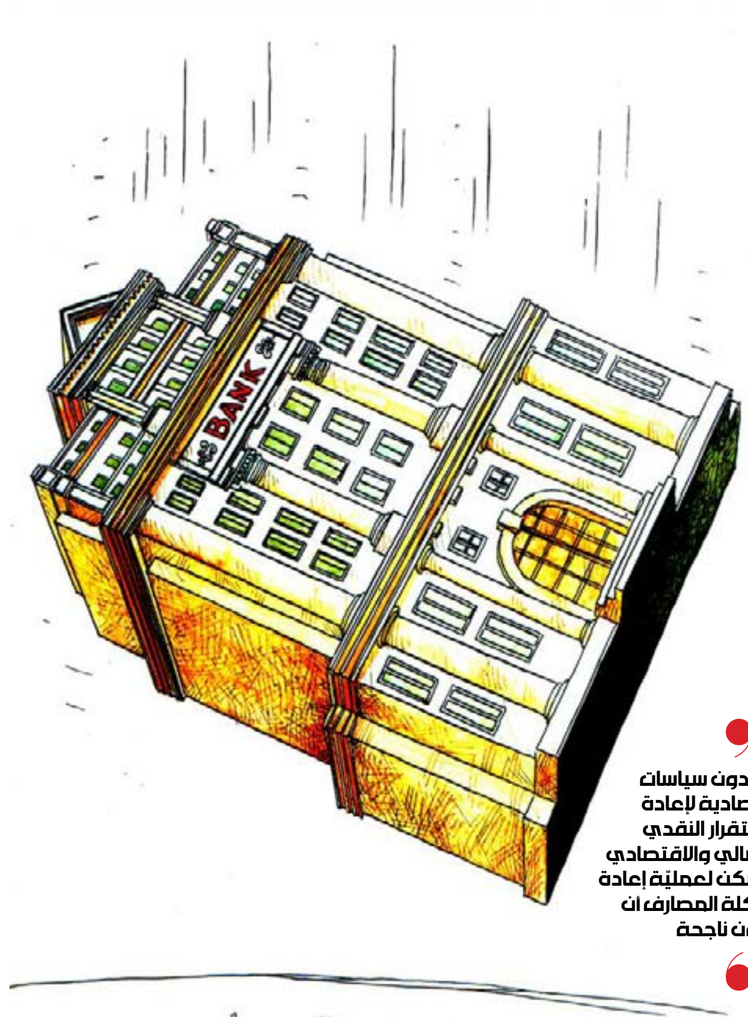

من دون سياسات اقتصادية لإعادة الاستقرار النقدي والمالي والاقتصادي لا يمكن لعمليّة إعادة هيكلة المصارف ان تكون ناجحة

(يافيه قسطانتين ـ رومانيا)

هذه العملية توكل إلى الجهة المخوّلة القيام بتسوية الأوضاع المصرفيّة. هناك العديد من الدراسات حول العلاقة بين خصائص هذه الجهة وكفاءتها وقدرتها على التدخّل الفعّال في عمليات إعادة الهيكلة المصرفيّة. يقول مارلون روليز ولويزا زانفورلن، في دراسة بعنوان «حلول الانهيارات المصرفية والمؤسسات المعنية: هل هناك رابط؟ بعض الأدلة التجريبية»: كلما كانت هذه الجهة مستقلّة في قرارها، كان عزمها على التدخّل أكبر.

عملياً، يضمن القانون في لبنان استقلالية السلطة النقدية، أي مصرف لبنان المسؤول عن مراقبة عمل المصارف، فحاكم المصرف محصّن بالقانون، ولا يمكن التدخّل في عمله من قبل الحكومة، وإقالته غير ممكنة إلا في حالات استثنائية قليلة جداً. لكن اللافت أن مصرف لبنان لم يتدخّل بشكل فعّال أو حاسم في تسوية أوضاع المصارف. فرغم الاستقلالية الشكليّة التي يملكها، كان تداخل المصالح بينه وبين معظم أقرقاء السلطة السياسية، وبين المصارف، عاملاً حاسماً في أن يكون قرار التدخّل لمصلحة استمرار عمل المصارف بمعزل عن قدرتها على الاستمرار او مطابقتها للمعايير، وبمعزل عن الصالح العام. فتصنيف المصارف بحسب قدراتها على الاستمرار، لم يتم حتى من قبل الجهة المسؤولة عن مراقبة الأعمال المصرفية. ويقول الباحثان روليز وزانفورلن أنه لتكون أعمال هذه الجهة فعّالة يجب أن تكون أولوياتها هي تطبيق المصلحة الاقتصاديّة العامّة، وهي لم تكن أولوية مصرف لبنان خلال الأزمة، وإلا لما كانت الاستراتيجيّة لديها عبارة عن طباعة الأموال وضخّها للمصارف لإبقائها على قيد الحياة، بصرف النظر عن إدخال الاقتصاد اللبناني في حالة تضخّم كارثية.

بحسب هولشر وكوينتن، فإنه بعد تصنيف المصارف، تقرّر الجهة المسؤولة عن تسوية الأوضاع ما ستفعله بالمصارف غير القادرة على الاستمرار، سواء عبر وضع يد الدولة عليها وعلى أصولها، أو إعلان إفلاسها والتصرّف بأصولها ووضع آلية للتعامل مع مودعيها وتصفيتها. أما المصارف القابلة للاستمرار، لكنها تحتاج إلى إعادة رسملة، فيقع على عاتق الجهة المسؤولة عن تسوية أوضاع المصارف، وضع آلية لتحديد المبالغ اللازمة لإعادة الرسملة. وعلى هذه الجهة إلزام المصارف المعنيّة بجدول زمني لتطبيق هذه العمليّة.

في الواقع، كان لافتاً أن مصرف لبنان أصدر قراراً بإعادة رسملة المصارف كلها بالنسبة نفسها من دون دراسة جدوى العمليّة على كلّ مصرف على حدة. وهو أصلاً لم يكن صارماً في تطبيق قراره، ما أتاح للمصارف الاستمرار في العمل رغم أنها لم تُثبت أن وضعها سليم بالنسبة للمصارف القابلة للاستمرار من إعادة رسملة، كان يفترض على الجهة المسؤولة، أي مصرف لبنان، أن تحدّد الإجراءات التي يجب على الدولة اتّخاذها لحمايتها عبر تشريعات وقرارات حكوميّة، مثل تطبيق الكابيتال كونترول وقوانين تأمين الودائع وغيرها.

لكن من دون سياسات اقتصادية لإعادة الاستقرار، سواء على الصعيد النقدي أو المالي أو الاقتصادي، لا يمكن لعمليّة إعادة هيكلة المصارف أن تكون ناجحة. فمن دون سياسات تهدف إلى استقرار سعر العملة، على سبيل المثال، لا يمكن إعادة العمل بالقطاع المصرفي. لأن التقلّبات الكبيرة في سعر العملة هي عامل يزعزع ثقة الفاعلين في السوق بالقطاع المصرفي. إذ يعتبر هؤلاء أنهم فقدوا القدرة على التعامل بأموالهم في المصارف لعدم قدرتهم على الوصول إليها لتحويلها إلى عملات أجنبية بهدف حفظ قيمتها. وبالتالي فإن استخدام المصارف كوسيط للقيام بالعمليات الاقتصاديّة يعرّضهم لمخاطر فقدان قيمة أموالهم. كما أن الاقتصاد غير السليم، الذي عمّ الأسواق، لا يتناسب مع الطموح بدخول رؤوس أموال إلى البلد مع أن ذلك أمر أساسي لعودة عمل المصارف إلى حالتها الطبيعيّة.

وقت ضائع

من السهولة الاستنتاج بأن الأزمة اللبنانية مستمرّة، لأنها لم تُجابَه بأية إجراءات سريعة لاحتوائها، وهو ما أدّى إلى تضاعف انعكاساتها على كل المصارف بشكل شامل. والأمر لم يكن محصوراً بالإجراءات الفوريّة، بل امتدّ إلى الإجراءات الأساسيّة لتسوية أوضاع القطاع المصرفي. فلم يكن هناك أي تحديد للخسائر يقوم من خلاله مصرف لبنان بتقييم أوضاع كل مصرف، بل تم التعامل مع القطاع كلّه بطريقة واحدة، على مدى سنتين ونصف السنة من بداية الأزمة بشكلها الحادّ. وكان هذا التعامل قائماً على أساس «ربح الوقت» بانتظار إنقاذ خارجي، لم يأت. علماً بأن هذا ما اعتاد عليه القطاع المصرفي اللبناني، ومعه القائمون على الدولة، في كل مرّة وصل فيها إلى حافة الهاوية. لكن هذه المرّة اختلف الأمر ولم يكن هناك قرار خارجي بالإنقاذ، لكن المشكلة الأكبر كانت أنه لم يكن هناك قرار داخلي أيضاً. فتحوّل السعي إلى «ربح الوقت» إلى إضاعة أكثر من سنتين على الاقتصاد اللبناني، ارتفعت خلالهما الخسائر الكلّية بشكل حادّ، وتكبّد الشعب اللبناني خسائر كان يجب أن تقع على أصحاب المصارف، الذين تتداخل مصالحهم مع مصلحة أهل السلطة السياسيّة والقائمين على مصرف لبنان.

32.8
مليون مهاجر من المنطقة العربيّة

%44	3	%61
يمكث داخل المنطقة	مرات تضاعف عددهم مقارنة مع عام 1990	منهم اتوا من بلدان المشرق العربي (لبنان -الاردن-سوريا- العراق- فلسطين-مصر)
57.9	1/3	%68
مليار دولار قيمة تحويلاتهم، وهو اكثر من الاستثمار الاجنبي بـ1.7 مرات	المهاجرين من النساء	هم في سن العمل (25-64 عاماً)

%41
من مجمل القوى العاملة في جميع انحاء العالم

بلغ عدد المهاجرين من المنطقة العربيّة نحو 32.8 مليون شخص في عام 2020. غالبية هؤلاء هاجروا من بلادهم في المنطقة العربية إلى بلادٍ أخرى، بعضها داخل المنطقة (أو هجرة داخلية داخل المنطقة) والبعض الآخر خارجها، بحثاً عن عمل بشكل أساسي أو هرباً من أوضاع سياسية وأمنية مصدرها الأساسي اقتصادي. 44% من المهاجرين استقرّوا في بلدان عربيّة أخرى وأكثر من ثلثيهم هم في سن العمل، أي أنهم من الفئات المنتجة في مجتمعاتهم. إذ تبلغ نسبة المهاجرين في سن العمل نحو 68% من إجمالي المهاجرين. لذا، فإن هذه الهجرة تنعكس مباشرة على قوّة العمل في طرفي الهجرة، سواء من البلدان التي هاجروا منها، والبلدان التي أتوا إليها. بالنسبة للدول التي هاجروا منها، فإن هجرتهم تركت فراغاً في قوّة العمل، لا سيما أن نسبة مهمة منهم لديها خبرات. وفقدان هذه القوّة في مواطنهم يعني أنهم لن يقدموا أي قيمة مضافة فيها مستقبلاً. في المقابل تستفيد الدول المستقبلة من هذه الخبرات ومن قدراتهم الإنتاجية بكلفة أقل من طاقات العمل المحلية. أما العوائد التي تحصل عليها الدول المصدرة، فهي تحويلات المغتربين المالية التي بلغت في عام 2020 نحو 57.9 مليار دولار. إنما هذه العوائد لا تساوي الكثير أمام القيمة المضافة الضائعة لو استفادت بلدانهم منهم. إذ تكون مساهمتهم في الإنتاج المحلّي أكثر قيمة. فالتحويلات تأتي إلى أقارب المهاجرين على شكل نقدي، أي أنها تسهم في القدرات الاستهلاكية فقط، وليس في القدرات الإنتاجية.

معدلات مشاركة المهاجرين وغير المهاجرين في القوى العاملة، حسب الجنس، 2019 (٪)

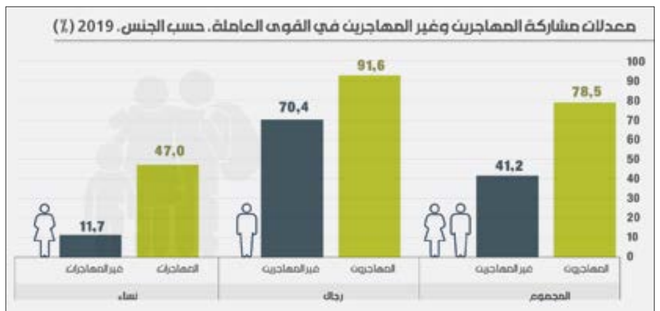

المصدر: منظمة العمل الدولية

نسبة المهاجرين واللاجئين من بلدان المشرق العربي وإليها، 2020

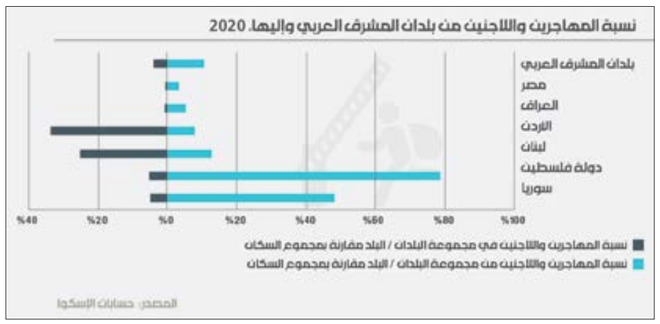

المصدر: حسابات الإسكوا

مقابلة

اجراها
وليد شرارة

من سخرية الأقدار بالنسبة للولايات المتحدة أن يخرج مسار العولمة عن سيطرتها، وأن توظفه الصين لتتحول قطباً اقتصادياً واستراتيجياً منافساً لها. هي اعتقدت أن "اللحظة الأحادية" التي تلت انهيار الاتحاد السوفياتي ستتيح لها إمكانية ترسيخ وتأبيد هيمنتها على العالم. غير أن الديناميات الاقتصادية والسياسية التي تلت، أتت معاكسة لمشاريعها وخططها. كعادتها، تلجأ للأداة العسكرية في محاولة يائسة للحدّ من انحدارها، مع ما يترتب على هذا الأمر من مخاطر على الأمن العالمي. في ظل التحوّلات التي طرأت على موازين القوى الدولية، المفكر العربي علي القادري، الذي أوضح في العديد من إسهاماته، الطبيعة الحربية والتدميرية للتراكم الرأسمالي المعاصر، رأى في مقابلة مع "رأس المال" أن المواجهة الدائرة في أوكرانيا تندرج في سياق مسعى واشنطن للتصدي للبناء الأوراسي وإعادة صياغة عولمة تتناسب ومصالحها

علي القادري

◄ الحرب على روسيا والهدف هو الصين

◄ أميركا تسعى لإعادة صياغة العولمة

■ ماهي تداعيات المواجهة الدولية الدائرة على الساحة الأوكرانية على مسار العولمة؟ هناك من يعتقد أن هناك عملية فسخ للشراكات الاقتصادية بين القوى الكبرى بدأت قبل هذه الحرب إنما هذه الأخيرة تسرعها. وتتلازم مع تشكّل لتكتلات اقتصادية تمثل انتقالاً إلى نوع من الأقلمة؟

- اشتدّت وتيرة العولمة ومعدّلها بعد عام 1990، وصرنا نشهد انفتاحاً اقتصادياً واسعاً، إذ زادت معدلات التبادل التجاري ليصبح 3 أضعاف معدّل النمو في العالم. في الوقت نفسه، إن معدّل التدفقات المالية النقدية في العالم زاد بشكل كبير، وجميعها بالدولار الأميركي. ما يعني اتساع خريطة الدولار النقدية والثروة الأميركية، لأن كل ما هو منقّد بالدولار هو جزء من الثروة النقدية الأميركية. وبما أن العالم أجمع يحكم القانون وبحكم الواقع مدولر، بالتالي تتحكم به الولايات المتحدة الأميركية إلى درجة كبيرة، فإن دولرة العولمة كانت مهمة جداً. لكن ما حصل أن العولمة لم تسر كما رسمت لها أميركا، لأن الصين ركبت قطارها بقدرة دولةٍ سيادية، لم تبع سيادتها مقابل تجارتها. بل باعت واشترت من دون أن تفتح حساب رأس المال (حسابات الدولة الخارجية). لديها قانون «كابيتال كونترول» وهو أهم ما يمكن أن تفعله أي دولة للتحكم بتسرّب رأسمالها إلى الخارج. ورأس المال هو مخزون القيمة والثراء.

كانت أميركا مستفيدة جداً من العولمة، ثم أتت الصين وغيّرت المعادلة لأنها دولة سيادية. اليابان مثلاً، كانت مستفيدة من التبادل التجاري بينها وبين أميركا وكان لديها فائض كبير، إنما أميركا شعرت بأن فائض اليابان صار يؤثر عليها ما دفعها إلى جمع رؤساء المصارف المركزية في فندق «بلازا» في نيويورك لتبلغ رئيس المصرف المركزي الياباني أن عملة بلاده منخفضة جداً وعليه رفع قيمتها. وفي عام 1985 رفعت اليابان عملتها، ومذاك يسجّل معدل النموّ الاقتصادي لديها بين 1 في المئة و2 في المئة فقط. ولا يأتيها سوى إيرادات بسبب العملة والثراء الذي راكمته في الفترة السابقة. غير أن أميركا لا تستطيع تكرار الأمر نفسه مع الصين علماً بأن لأميركا مع الصين عجزاً تجارياً. إذ ليس في مقدورها الطلب من الصين رفع قيمة اليوان كونها دولة ذات سيادة. وكذلك لا تستطيع الطلب من الصين فتح سوق المال لتهريب الثروة الصينية نحو الدولار، لأن الصين وضعت قيوداً على العولمة واستفادت منها في الآن عينه.

العولمة أدخلت الصناعة إلى الصين، وبما أنه لدى الصين قدرة استيعاب عالمية عالية جداً بسبب اشتراكية ماوتسي تونغ، استطاعت استيعاب المعرفة وتقنية الإنتاج وجعلتها جزءاً من العملية المعرفية التي تُعيد الإنتاج الخاص بها. الصين تطوّرت بشكل سريع واستطاعت أن تكون سبّاقة في بعض المجالات على أميركا في فترة وجيزة من الزمن. ومن المعروف أن النمو الصيني شبه معجزة على المدى التاريخي.

أميركا استفادت سابقاً وتخسر اليوم بسبب العولمة. وفيما كان الغرب يستفيد من العولمة بجني الأموال وزيادة استهلاكه بأموال الغير، ربطت الصين نفسها بالجزء الأقل على الصين هو رفع القيود عن حساب رأس المال إفساحاً في المجال لهروب ملايين الدولارات من المصارف الصينية إلى أميركا واستنفاذ القيمة والثراء الصيني. يريدون خلق عولمة جديدة تكون الصين فيها ضعيفة. والحرب على روسيا هي بالطبع من أجل فكّ التحالف بين الصين وروسيا للسيطرة على أوراسيا كمركز نفوذ، لذلك استهدفوا روسيا وأهمين بأنهم يستطيعون إزالتها عن الخريطة، بينما روسيا في حالة دفاع عن الذات.

■ لا تستطيع واشنطن وقف صعود الصين إلا بالحرب؟

- عملية التراكم الرأسمالي هي بحد ذاتها عملية التراكم الحربي. الحرب صناعة وتراكم. تصنع قتلى ولهم سعر. الحرب هي الأساس في الدورة الاقتصادية الرأسمالية. هي الأساس والنهاية لعملية التراكم. لذلك يصبح من الضروري على الغرب أن يحارب. الحرب في الظرف التاريخي هذا هي وسيط يحلّ كل مشكلات التفاوت التي تحصل بين علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج في الرأسمالية. وكما أن العولمة هي تكثيف للإمبريالية، فإن نظرية الإمبريالية هي الحرب، وكان من المستحيل عدم الهجوم على روسيا.

■ ماذا يعني أن الحرب هي أساس عملية التراكم؟

- معناه أن الحياة الرأسمالية هي للتمدد والتوسع. توسّع السلعة هو توسّع الحرب. توسع التجارة هو توسع الحرب. توسع الصناعة الحربية يعني توسع التجارة الحربية. على قاعدة كل صناعة مقرونة بتجارة. عندما تحاربهم روسيا يعني أنها تحارب الثقل التاريخي وفائض القيمة التاريخية والأفكار التي زرعها الغرب على مدى 500 سنة. وهذه الأفكار تجعل الناس تقوم بما يريده الغرب من دون أن يطلب منها هو ذلك. فعلى سبيل المثال في لبنان، هناك من يطرح حلولاً على يمين البنك الدولي ويمين صندوق النقد وهذا جزء من الثراء الأيديولوجي والثقل التاريخي الذي يجب أن نتحرّر منه. روسيا تحارب الثقل التاريخي وهو فكر تاريخي سائد ونتأخر نحن كثيراً من خلال الكوارث التي تفتعلها أميركا كوريث للكولونيالية الغربية.

حرب روسيا ضد حلف «الناتو» في أوكرانيا هي حرب ضدّ الثقل التاريخي. أي انتصار روسي هو تفكيك لمنظومة الأفكار التاريخية التي تشرّبها الكون وتجعل العالم يعمل لصالح رأس المال. بمعنى آخر يصبح العمل شكلاً من أشكال رأس المال وليس نقيضه.

الأزمة كبيرة وللمرة الأولى الغرب يتحدث عن أزمة وجود. بدرك ذلك لأن الروس تمكنوا من عزل التأثيرات التي تتصل بحرب الاستنزاف، إذ أصبح اقتصادهم، إلى حدّ كبير، اقتصاد عسكرة يستفيد من الحرب واستمراريتها. وقوع الغرب في العجز لم يكن أمراً وارداً، بل نموّاً في الحرب بعكس الاتحاد السوفياتي السابق الذي كان ينظر إلى التسلّح كعملية استنزاف للقدرات الداخلية. يريدون عولمة جديدة وهو أمر صعب تحقيقه. العالم على المحك والغرب لديه مشكلة طاقة في أوروبا. وهناك يمين متطرّف أيضاً في أوروبا في ظل غياب اليسار الغربي واحتواء الماركسية والفكر الثوري. في الوقت نفسه، يتطوّر رأس المال الأوروبي والأميركي نحو الفاشية، وهي الحالة المثالية لرأس المال الذي ينضج ويصبح في أحسن حالاته، إذ إن الدولة عندها تصبح محكومة كلياً بمصالح رأس المال. هنا تحديداً يكمن الخوف من قلب المعادلة لمصلحة أميركا تخلق فاشية في أميركا وفي أوروبا. والفاشيون عادة يلجأون إلى الحرب كعملية توسيع للنزاع والحرب. وأي ضرب من الغباء يضعنا أمام حرب كونية. السبب الرئيسي لذلك هو قدرة الليبرالية الغربية على احتواء الفكر الثوري اليساري. ليس هناك اليوم فكر ثوري يساري قادراً على فهم ما تفعله أوروبا وأميركا في روسيا. الحصار يمكن أن يؤدي إلى ظروف كارثية. الحرب الكونية ممكن أن تنشأ على أساس اللاوعي التاريخي المنتج لفاشية قادرة على التحدث بنفس السلعة. الفاشية هي أكثر نسب التشيؤي، أي أنه في ظل الفاشية الناس تتماثل بالسلع وبفكر السلع.

> **العولمة ادخلت الصناعة إلى الصين التي استطاعت استيعاب المعرفة وتقنية الإنتاج وجعلتها جزءاً من العملية المعرفية التي تعيد الإنتاج الخاص بها**

> **الحرب هي الأساس في الدورة الاقتصادية الرأسمالية وهي النهاية لعملية التراكم**

وما يفترض أنه مصالح اقتصادية هامة، ليصبح الصراع على الهيمنة هو الصراع الجوهري؟

- رئيس الوزراء البريطاني السابق الذي قاد الحرب على العراق تحدث عن خطورة صعود الصين، مشيراً إلى أنهم يشكّلون جزءاً من تركيبة القوى الغربية التي إذا اهتزت، تهتزّ قوة أميركا. الغرب واع لأولوية السلطة والسياسة، ومَن يتحدث بمنطق اقتصادوي لا يؤخذ على محمل الجد. أما اليسار الغربي فهو تافه ويشوّه صورة النقيض للثقل التاريخي، ونحن يهمنا في عملية الصراع الدائرة أن تتغير موازين القوة لتصبح آفاق التطوّر واسعة من خلال الممارسة التي تحصل. فلاديمير بوتين تصرّف بشكل يدل على أن هناك نوعاً من العضوية والانتماء لبيئته ولمصالح الشعب. ويهمنا فكّ الثقل التاريخي لأن الناس اعتادت الهزيمة وتظن أن لا حلول إلا من خلال الأطر التي يضعها الغرب، وأنها غير قادرة على النهوض بنفسها لأسباب غير صحيحة أبداً.

لا تصوّر لحل المشكلة، كل ما هناك حالياً هو نوع من الاستقطاب. معظم العالم مستاء، إضافة إلى اضمحلال صورة أميركا في الخارج وصورة أوروبا. ثقل الصين وأفعالها يغيّران موازين القوة الدولية في أفريقيا وأميركا اللاتينية وفي منطقة الشرق الأوسط إلى حدّ كبير. هناك تغيير في المرحلة السابقة آفلة. يبقى الخوف من حدوث حرب كونية وهذا هو الإرهاب الغربي بحد ذاته.

■ كثير من التحليلات تعتبر أن الحرب ونتائجها تسرع الانحدار الأميركي، كما أدّت حروب أميركا السابقة في أفغانستان والعراق إلى تسريع الانحدار بدلاً من تجديد الهيمنة الأميركية العالمية. وفي هذا السياق هناك اعتقاد بأن أهم النتائج المباشرة للحرب الدائرة حالياً والعقوبات ضدّ روسيا، تكمن في تهديد مكانة الدولار كعملة احتياط، علماً بأنه في القمة الأخيرة للبريكس تحدث الرئيس بوتين عن ضرورة تشكيل سلّة عملات بديلة من الدولار. إلى أي مدى يعدّ هذا الأمر جدياً بين أطراف وازنين؟

- هناك أولوية للسياسة دائماً وقالها توني بلير. لكن القوّة لها عدّة أشكال مرئية وغير مرئية، وأهمها الثقل التاريخي الذي يخلق سكة للفكر ويؤدّي إلى الغاية والهدف ذاته الذي يريده الغرب من دون خلق بدائل تاريخية على الصعد كافة. من أجل ذلك يقاتلون للحفاظ على السيطرة. أميركا وأوروبا يسرّعون في نهايتهم عبر فكّ مسألة الطاقة عن روسيا. وإضافة إلى ذلك هناك تحولات دولية نشهدها في أميركا اللاتينية حيث هناك نوع من التفكك عن أميركا. صحيح أنهم حاصروا روسيا، لكن نتائج ذلك أقسى عليهم مما هو على روسيا. كما أن التجارة الخارجية مع روسيا انخفضت، وازدادت التجارة الخارجية بمقدار أكبر مع الصين ودول أخرى، ما يعني أن هناك استقطاباً. العولمة الجديدة هي عالمان، والحرب الباردة خُلقت تقريباً مجدداً لكن بموازين مختلفة عن السابق. فيها الصين وهي أكبر من الاقتصاد الأميركي بالقوّة الشرائية الحقيقية، كذلك الصين أكبر من أميركا بمرّة ونصف. أما بالأسعار الاسمية، فإن أميركا أكبر بجزء بسيط، لكن على صعيد الأسعار الحقيقية والشراء الحقيقي والقدرات الشرائية الصين أضخم بكثير من المنظومة الغربية كلها لأن فيها ثراء وقدرات ونشاطاً اقتصادياً هائلاً. لذا إن مشكلة الثقل الذي تشكّله الصين حالياً يغيّر موازين العالم وبدأ العالم كله يستفيد منه. أميركا لم تعد بتلك الصورة اللماعة وتحديداً بعد الكوفيد، ومن المستبعد أن يتمكنوا من فرض شروطهم. المشكلة في أوروبا وأميركا أن هناك كماً هائلاً من المدينونية، ومعظم الشركات الموجودة على البورصة هي شركات أميركية صحيح، لكن بأسعارها المستقبلية وليست الفعلية. كله رأس مال خيالي. رأس المال هو أساساً علاقة اجتماعية خيالية مبنية على تناقض العمل.

الشركات الأميركية تظهر كأنها كبيرة، بينما هي فعلياً شركات كبيرة لأن مديونيتها على المستقبل البعيد كبيرة. الاقتصاد المالي يرضخ ويتسارع ويتراكم اكثر من الاقتصاد الحقيقي وهذه فقاعة أكبر بكثير من فقاعة 1929، لكنّ التقرير يشير إلى أن النشاط العالمي للمصارف، الذي لم يتراجع بنسبة الربع في هذه الفترة بينما مشاركة هذا القطاع في النشاط العالمي تراجعت بنسبة 40%. لا يقتصر الأمر على هذه المؤشّرات، فصندوق النقد الدولي يقول في تقرير له، إن تعطّل شبكات الإنتاج يؤثّر بشكل بالغ على المخزون والإنتاج والمبيعات. هذا التعطّل ينتج حرمان قسم من العالم من الغذاء ومن معادن هامة استراتيجية مثل البلاديوم والروديوم وسواهما.

في الواقع، كانت السردية الغربية عن العولمة، تشير إلى أن الانفتاح الاقتصادي هو بديل فعّال وآمن من النظريات الإيديولوجية التي فشلت في تنمية اقتصاداتها ومجتمعاتها. كما تحدثت هذه السردية عن عوامل قوّة الانفتاح التجاري على الطريقة النيوليبرالية على قاعدة «دعه يعمل دعه يمرّ». وعلى هذا الأساس نُظّمت سلاسل الإنتاج العالمية من الشركات المتعدّدة الجنسيات، وفُتحت الحدود تحت عنوان حرية تدفق الرساميل نحو وجهات تقرّرها المصارف والمستثمرون. أيضاً لهذا هؤلاء يقررون أيّ معدلات فائدة لهذا الاستثمار، ومَن يربح وباي نسب... كل هذا المسار الذي كان يُنظر إليه باعتباره عوامل قوّة وازدهار، تعزّز بدلاً منه مسار آخر. فجأة صار هناك سياسات صناعية أميركية وأوروبية جديدة في مجالات أساسية مثل أشباه الموصلات، البطاريات الكهربائية، تقنية الـCloud... وكل ذلك صار يُسوّق له تحت عنوان «زيادة الاستقلالية والحدّ من التبعية للخارج».

كانت السوق المفتوحة أهم إنجازات النيوليبرالية، ولو أنها كانت مفتوحة بشكل وهمي. في تاريخ العولمة، أو الدورة الأخيرة منها، هناك عدة مراحل. المرحلة الأولى

تقرير

سقوط «العولمة المفرطة»: لا تحمي من التضخّم

ما نعرفه عن العولمة في العقود الأخيرة، انتهى إلى غير رجعة. ثمة مجال مفتوح لإعادة صياغة الشراكات الاقتصادية بين الدول خارج الإطار السابق. الحدود المفتوحة لتدفقات الرساميل والسلع والأفراد، لن تبقى كما كانت. فعلى أساس استراتيجيات الدول سيتحدّد ما هو مفتوح وما هو مقيّد في التداولات الخارجية. فقد بات واضحاً للعيان، أن العولمة بنسختها النيوليبرالية سقطت، وصار الأمر محط إجماع في التحليلات الغربية. ثمة ملف كامل أعدّ في مجلة «بدائل اقتصادية» الفرنسية، يشير إلى ذلك. ومثلها أيضاً، «كوريبه انترناسيونال» سلكت طريق توصيف هذا السقوط وتحليل أسبابه نحو حقبة جديدة. حتى إن مجلّة «ذي ايكونوميست» لم تعد تنظر إلى الانفتاح الاقتصادي، بل باتت معنية أكثر بإعادة صياغة الشراكات الاقتصادية انطلاقاً من الحرب ضدّ روسيا.

كل ذلك لا يقارن قياساً إلى التقرير الصادر عن منظمة التجارة العالمية في تشرين الثاني 2021 بعنوان «نمو سلسلة القيمة العالمية». استخدمت المنظمة عبارة «العولمة المتباطئة» (سلوباليزيشن) للإشارة إلى حالة انهيار المنظومة القائمة، وقدّمت دلائل عليها. فمنهجية قياس العولمة تكمن في النظر إلى احتساب مساهمة السلع الوسيطة في القيم المضافة الوطنية، لكنّ التقرير يشير إلى أن هذه المساهمة كانت بمعدل 14,2% في عام 2008، وصارت 12,1% في عام 2020. كذلك الأمر بالنسبة إلى النشاط العالمي للمصارف، الذي لم يتراجع بنسبة الربع في هذه الفترة بينما مشاركة هذا القطاع في النشاط العالمي تراجعت بنسبة 40%. لا يقتصر الأمر على هذه المؤشّرات، فصندوق النقد الدولي يقول في تقرير له، إن تعطّل شبكات الإنتاج يؤثّر بشكل بالغ على المخزون والإنتاج والمبيعات. هذا التعطّل ينتج حرمان قسم من العالم من الغذاء ومن معادن هامة استراتيجية مثل البلاديوم والروديوم وسواهما.

في الواقع، كانت السردية الغربية عن العولمة، تشير إلى أن الانفتاح الاقتصادي هو بديل فعّال وآمن من النظريات الإيديولوجية التي فشلت في تنمية اقتصاداتها ومجتمعاتها. كما تحدثت هذه السردية عن عوامل قوّة الانفتاح التجاري على الطريقة النيوليبرالية على قاعدة «دعه يعمل دعه يمرّ». وعلى هذا الأساس نُظّمت سلاسل الإنتاج العالمية من الشركات المتعدّدة الجنسيات، وفُتحت الحدود تحت عنوان حرية تدفق الرساميل نحو وجهات تقرّرها المصارف والمستثمرون. أيضاً لهذا هؤلاء يقررون أيّ معدلات فائدة لهذا الاستثمار، ومَن يربح وباي نسب... كل هذا المسار الذي كان يُنظر إليه باعتباره عوامل قوّة وازدهار، تعزّز بدلاً منه مسار آخر. فجأة صار هناك سياسات صناعية أميركية وأوروبية جديدة في مجالات أساسية مثل أشباه الموصلات، البطاريات الكهربائية، تقنية الـCloud... وكل ذلك صار يُسوّق له تحت عنوان «زيادة الاستقلالية والحدّ من التبعية للخارج».

كانت السوق المفتوحة أهم إنجازات النيوليبرالية، ولو أنها كانت مفتوحة بشكل وهمي. في تاريخ العولمة، أو الدورة الأخيرة منها، هناك عدة مراحل. المرحلة الأولى من أواخر الخمسينيات إلى أوائل التسعينيات. وهناك مرحلة ثانية من مطلع التسعينيات بعد انهيار الاتحاد السوفياتي إلى غاية الأزمة العالمية والتي يسميها دان رودريك: «العولمة المنفلتة» أو «العولمة المفرطة»، بحسب التعبيرات المستعملة في المجلة الفرنسية «بدائل اقتصادية». ومن سمات هذه المرحلة تعاظم

> **القيود والحواجز على اختلاف أشكالها وأنواعها من جمرك وغيرها، ازدادت من 15% في عام 2008 إلى 30% في عام 2020**

الاستثمارات الخارجية للشركات، وارتفاع وتيرة تدفق الرساميل. والمرحلة الثالثة بعد عام 2008، سمتها تراجع الاستثمار الخارجي وحركة الرساميل. فالقيود والحواجز بوجه تدفقات الرساميل والسلع والأفراد، نسفت كل هذه المرحلة، إذ اندفعت الدول إلى فرض حواجز إضافية أمام الاستثمارات الأجنبية في القطاعات التي تعدّها استراتيجية. وبحسب تقرير منظمة التجارة العالمية، فإن القيود والحواجز على اختلاف أشكالها وأنواعها (جمرك وغيرها...) ازدادت من 15% في عام 2008 إلى 30% في عام 2020. وبنتيجة هذه المعطيات باتت وزيرة الخزانة الأميركية جانيت يلين، تتحدث عن «عولمة بين أصدقاء». وهو الأمر نفسه الذي يشير إليه تقرير منظمة التجارة العالمية حول إنتاج السلع الاستراتيجية محلياً أو في بلدان حليفة. عملياً، العولمة تتفكّك وسيظهر على أنقاضها شبكات إنتاج وطنية وإقليمية.

بفعل جائحة كورونا، ثم الحرب الروسية الأوكرانية، انكشفت هشاشة سلاسل الإنتاج العالمية. فقد توقفت المصانع والمرافئ عن العمل، أو تضرّرت سلاسل التوريد، ما أحدث هزّة تضخّمية عالمية. وفيما تقف دول العالم على مشارف ركود تضخّمي هائل، برزت تصريحات تشير إلى نهاية العولمة بنسختها القائمة. رئيس صندوق بلاك روك - الصندوق الاستثماري الأكبر في العالم، لاري فينك، صرّح بأن الغزو الروسي لأوكرانيا أنهى العولمة التي عرفناها منذ 30 عاماً. وفي محصّلة العقوبات الغربية على روسيا، انخفاض نسبة الدولار في احتياطات بنوك العالم بنسبة 12 نقطة، وانخفاض حصّة الدولة في البنك المركزي الروسي إلى 16% مقارنة مع 20% سابقاً. الصين تنشئ حالياً، نظاماً للدفع اسمه «سيبس» (CIPS: china international payement system) بدلاً من «سويفت». الجائحة كانت أول إنذار بالنسبة إلى عدد كبير من الشركات الغربية لجهة الاعتماد الكبير على الصين. موقف الصين من أوكرانيا، كان بمثابة إنذار ثان. لذا، هناك عدد متزايد من الشركات مثل مانغو، نايك، أديداس، وسواها ممن تعيد توطين مصانعها خارج الصين. النموذج القائم على التصنيع في بلدان لديها يد عاملة رخيصة، لم يعد وارداً. هذا الأمر له أسباب جيوسياسية، ولكنّ له أسباب اقتصادية أيضاً. تعتقد الدول الغربية أن اليد العاملة في بلدان مثل البرتغال وتركيا ويوغوسلافيا هي أرخص من الصين، وأن كلفة النقل لم تعد تبرّر الوجود الصناعي في لها الصين، فضلاً عن ارتفاع أسعار المواد الخام أيضاً مثل الخشب والألمنيوم والزجاج... طبعاً هناك مشكلة في رخص اليد العاملة، لكن المشكلة الكبرى هي في ضمان سرعة ومرونة وصول السلع.

ماذا يعني ذلك؟ هل هي نهاية حرية التبادل؟ عملياً، العقوبات الاقتصادية على روسيا، والقرارات الأوروبية بوقف أو الحدّ من استيراد النفط والغاز للضغط على روسيا، بالإضافة إلى إقصاء المصارف الروسية من النظام المالي العالمي، كل ذلك أظهر أن حرية التبادل انتهت. بمعنى أوضح، التجارة العالمية بنسختها الحالية، والتي ارتكزت على قواعد الغرب للانفتاح الكامل، أصبحت في مرحلة انهيار. أول مؤشرات هذا الأمر، بدأ مع الحرب التجارية التي أطلقها الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب مع الصين، وما تلاها من إجراءات ونتائج بسبب الجائحة. فقد تبيّن أن هناك تبعية كبيرة للولايات المتحدة تجاه الواردات من الصين.

في عام 2010 كانت القيمة الإجمالية للتبادلات العالمية الخاضعة للرسوم الجمركية 126 مليار دولار، إلا أنها ارتفعت إلى 1500 مليار دولار في عام 2020 بحسب منظمة التجارة العالمية، ما يعني أن الرسوم الجمركية زادت. وهذه الزيادة تعود إلى ارتفاع عدد السلع التي جرى إخضاعها للرسوم الجمركية. وبالتالي فإن فكرة الرسوم الصفرية التي رُوّج لها باعتبارها العامل الأساسي في الانفتاح التجاري والتبادلات التجارية الدولية، لم تعد مرغوبة بالمطلق في ظل المسار الجديد للعولمة. فالأزمات الكبرى أظهرت أن العولمة بشكلها السائد لا تسمح بحماية فعّالة وحاسمة ضدّ التضخّم، بل يكفي أن تتعطل الطلب أو نتيجة جائحة أو حرب حتى ترتفع الأسعار.

بالأرقام

11,25
تريليون دولار هي قيمة صادرات السلع الوسيطة في العالم في عام 2019. وهي انخفضت من 13.8 تريليون في عام 2018 ما يمثّل انخفاضاً بنسبة 18٪

949
مليار دولار هي قيمة صادرات السلع الوسيطة من ألمانيا التي تحتل المركز الأول عالمياً وتأتي بعدها الولايات المتحدة بصادرات بقيمة 948 مليار دولار

تحقيق

مستقبل الديجيتال في ظل تفكّك العولمة

علي عواد

النظام العالمي الحالي وقواعده التي أرستها نتائج الحرب العالمية الثانية، وانهيار الاتحاد السوفياتي، اهتزّت. البعض يرى أن الكوكب متّجه نحو تفكّك العولمة (Deglobalization) ويبغي الأقلمة (Regionalization). ويستند في ذلك إلى البريكست والترامبية وصعود اليمين حول العالم بخطاب شعبوي يريد الانكفاء إلى الداخل. وهذا القدر، المستقبل الذي يُنظر له، أشعلت جائحة كورونا النار تحته وسرّعت عملية الطبخ. لكن العولمة، القرية الصغيرة بتعريفها الكليشيه، ليست فقط اتفاقيات تجارة وحدود مفتوحة وتصدير قيم. هي أيضاً صارت إنترنت و«ميتافيرس» وأقمار اصطناعية تحدّد الموقع الجغرافي، و«بلوكتشاين»، وتكنولوجيا اتصالات، وشرائح إلكترونية، وبرمجيات. وبين هذا وذاك، ومع ضبابية المشهد الذي يُرسم، يجد عالم الديجيتال نفسه بين جيلين، القديم لا يريد مشاركة المعرفة التقنية به، والجديد يرى أن استقلاله فيه هو أولوية استراتيجية. وبهذا، قد يكون العالم للمرة الأولى - قد - متجهاً نحو مفهوم «سيلبنترنت» أو بلقنة الإنترنت «Internet Balkanization» (تجزئة منطقة كبيرة إلى أجزاء صغرى بسبب الاختلافات). يقول لاري فينك، الرئيس التنفيذي

> استفادت الصين من العولمة بشقها التجاري بشكل كبير وباتت ثاني أكبر اقتصاد في العالم خلف الولايات المتحدة الاميركية

لشركة «بلاك روك» العملاقة (تدير أصولاً تبلغ قيمتها 10 تريليونات دولار)، إن الصراع في أوكرانيا «وضع حداً للعولمة التي شهدناها خلال العقود الثلاثة الماضية». وأضاف أن الشركات والحكومات ستبحث بجدية في اعتمادها على الدول الأخرى وستسعى إلى «المزيد من الاستعانة بمصادر داخلية أو قريبة (Onshore or Nearshore) من أجل القيام بعملياتها». وهذا كلام بالغ الأهمية، إذ استثنى المصادر الخارجية (Offshore). بمعنى أن العالم سيكون أمام مجموعات دولية إقليمية تتعاون في ما بينها من دون الاعتماد على شركات أو حكومات خارج مجموعتها. ويمكن لنا أن نتخيل تطبيقاً لهذه السياسة، مثل أن تقوم شركة «أبل» الأميركية بصنع هواتف «آيفون» في المكسيك بدلاً من الصين. لكن، بطبيعة الحال، أجهزة الهاتف والحواسيب هي منتج ملموس، ماذا عن الإنترنت وكل ما يحتويه؟ كيف يمكن تجزئة شيء كهذا؟ الويب الذي بين أيدينا اليوم، لم يكن دائماً هكذا. خلال الفترة الممتدة من عام 1991 إلى عام 2004، الويب كان في حالة جامدة. بمعنى أنه كان أشبه بموسوعة كبيرة يستهلك المستخدم منها المحتوى. والمواقع الإلكترونية لم تكن متغيرة بحسب المستخدم، بمعنى أن مستخدماً في الولايات المتحدة وآخر في ألمانيا عندما يتصفحان الموقع الإلكتروني ذاته، ستظهر لهما الصفحة نفسها مع المحتوى ذاته. أي أن المصدر كان واحداً وثابتاً. هذا الشكل من الإنترنت سمي بـ«الويب نسخة 1».

لكن منذ عام 2004 إلى يومنا الحالي، تغير كل شيء. الإنترنت بات تفاعلياً. وأصبح يمكن للمستخدم أن يخلق محتوى فقط، بل أصبح هو جزءاً من المحتوى الكلي للإنترنت. حتى أن المواقع الإلكترونية باتت تأخذ بيانات المستخدم كي تقدم له تجربة خاصة فيه هو وحده. لكن هذا الأمر يتطلب أن يتم جمع بيانات المستخدمين كلهم.

ومع الوقت، تركزت كل تلك البيانات داخل الولايات المتحدة الأميركية. وباتت شركات مثل «ميتا» (فايسبوك سابقاً) و«غوغل» و«أمازون» و«آبل» و«مايكروسوفت» حارسة لبوابة الإنترنت. ويرمز لهم بـ«الخمسة الكبار» (The Big Five). والآن، نصل إلى المفهوم الجديد، «الويب نسخة 3»؛ صحيح أن الطريق أمامه لا تزال طويلة، لكنها قد بدأت بالفعل. وهو نموذج مبني على فكرة جوهرية أساسية: اللامركزية. سيتم نقل تركز شعب الإنترنت من المنصات المركزية مثل «غوغل» و«ميتا» و«تويتر»، إلى منصّات لا مركزية مجهولة الهوية يتحكم بها إنترنت ذكي ومستقل ومفتوح يستخدم الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي ليكون بمثابة «عقل عالمي». ويعالج المحتوى لجهة المفهوم والسياق. في حين أن البيانات ستكون على شبكة «بلوكتشاين» موزعة بين كل المستخدمين وغير متركزة في دولة أو شركة واحدة. وهذه رؤية المهندس بيرنرز لي، الذي اخترع الويب. لكن سابقاً لم يكن من الممكن تنفيذ هذه الخطة بسبب القيود التكنولوجية. إلا أنه مع القفزات التقنية في الاتصالات والذكاء الاصطناعي و«بلوكتشاين» (وما تلاها من تطويرات مثل العقود الذكية والـ«NFT») أصبح الأمر ممكناً. الصين على سبيل المثال، هي متصلة بشبكة الإنترنت، لكنها تضعه خلف «جدار الحماية العظيم» (Great Firewall of China). وهو عبارة عن مجموعة من الإجراءات التقنية التي تفرضها البلاد لتنظيم الوصول إلى شبكة الإنترنت محلياً، وتهدف إلى حجب عدد من مواقع الإنترنت الأجنبية ومراقبة حركة البيانات من وإلى الإنترنت. كما تحدّ من الوصول إلى مصادر المعلومات الأجنبية، وتحجب أدوات الإنترنت الأميركية مثل «غوغل» و«فايسبوك» و«يوتيوب» و«تويتر»، وتطبيقات الهاتف الذكي. يمكن النظر إلى تلك الإجراءات على أنها رقابة حكومية، ودفع بسردية النظام. إلا أنه لا يمكن إنكار أن الصين استطاعت أن تبني أهم شركات التجارة الداخلية عبر الإنترنت، وقدمت منتجات رقمية محلية مشابهة للتطبيقات الغربية مثل «ويتشات» و«تيك توك». استفادت الصين من الإنترنت بشكل كبير من دون أن تسمح له بتمرير القيم الغربية إلى مجتمعها.

حلم الإنترنت العالمي الحر والمفتوح للجميع يتلاشى بسرعة. هناك مبررجون سقطوا دفاعاً عن الإنترنت وحرية الوصول إلى المعلومات في ما مضى. مثل آرون شوارتز، والذي وجد مشنوقاً داخل شقته عام 2013 في بروكلين نيويورك. مفهوم «سيلبنترنت» يعني أن تتحكم الدول بما يظهر أمام شاشة المستخدم على أراضيها. وعلى سبيل المثال، يدخل شخص ما داخل إحدى الدول إلى موقع ويكيبيديا بحثاً عن معلومة. في هذه الحالة، ممكن أن يكون الموقع محظوراً، أو يظهر أمامه لكن سيقدم معلومات تتوافق مع توجهات بلاده. وهذه المعلومات لا تظهر في الإنترنت العالمي، فقط داخل بلاده. وبهذا يكون الإنترنت قد تجزأ بحيث أن العالم المحتوى داخل تلك البلاد لأي شخص آخر خارجها أو خارج المحيط الإقليمي. وهذا سيؤدي إلى خلق عدة شبكات إنترنت متوازية غير متصلة ببعضها البعض. ليصبح الإنترنت الجديد بنية تحتية محصورة تنقسم إلى مناطق جيوسياسية، مثل المناطق الجغرافية. الصين ليست وحدها في ذلك. إذ مع بدء الصراع الروسي - الأوكراني، أوقف عمالقة التكنولوجيا الغربيين خدماتهم في روسيا. وهذا دفع الحكومة الروسية إلى إعادة طرح مشروع «الإنترنت السيادي». في عام 2019، وقع الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، تشريعات يشار إليها باسم قانون الإنترنت السيادي لوقف ما يعتبره استراتيجية الأمن السيبراني العدوانية للولايات المتحدة. أدّى القانون إلى تركيب معدّات للسماح للشبكات الروسية بتصفية وتتبع وإعادة توجيه استخدام الإنترنت. واختبرت روسيا شبكة الإنترنت الخاصة بها «رو نت» (Runet) بإزالة نفسها من الإنترنت العالمي لتحديد قدرتها على العمل بشكل مستقل عن جميع المصادر الأخرى. وبهذا تتمتع الحكومة الروسية بالسيطرة الكاملة على ما يراه الناس. كذلك لدى كوريا الشمالية وإيران رقابة قوية على المحتوى أيضاً.

استفادت الصين من العولمة بشقها التجاري بشكل كبير. وباتت ثاني أكبر اقتصاد في العالم خلف الولايات المتحدة الأميركية. وطورت الجمهورية الشيوعية بنيتها التحتية ونقلت مئات الملايين من الفقر المدقع إلى الطبقة الوسطى. وكل ذلك عبر تحولها إلى عضلات العولمة. بمعنى أن الابتكارات كانت تأتي من العقل الغربي مع المال من أجل آلاف التصنيع. والأمور كانت ممتازة لعقود. لكن ماذا حصل عندما قررت الصين أن تبدأ هي الابتكار؟ مع صعود شركة «هواوي» الصينية ووصولها إلى المركز الثاني عالمياً، كانت مثلها مثل غالبية شركات الهواتف الذكية مضطرة إلى التعامل مع شركة «كوالكم» الأميركية. الأخيرة، سيطرت على شرائح اتصالات تقنية «CDMA» طوال 20 عاماً. تتمثّل المشكلة في أن شبكات اتصالات الخلوي حول العالم ليست متماثلة، هناك الجيل الثاني والثالث والرابع. وإن كنت شركة تصنيع هواتف ذكية، عليك أن تنتج هاتفاً يعمل في مختلف تلك الشبكات كي تضمن مبيع المنتج حول العالم. وهنا مربط الفرس. «كوالكم» امتلكت بشكل أحادي كل حقوق براءات الاختراع لشرائح الاتصالات اللاسلكية من الـ2G إلى الـ4G. ودرّ هذا الأمر عليها مليارات الدولارات طوال السنين الماضية من غالبية شركات تصنيع الهواتف. لكن «هواوي» وجدت أن أفضل طريقة للالتفاف على هذه المصيدة، أن تقوم بتطوير الجيل الخامس للاتصالات اللاسلكية 5G، وبهذا تخرج من شروط «كوالكم» القاتلة وتتحرر من حاجتها إلى الولايات المتحدة عبر الاعتماد على نفسها. ولهذا، انتقم الرئيس السابق للولايات المتحدة الأميركية، دونالد ترامب، من «هواوي»، عبر شيطنتها ومنع الحكومات وشركات الهاتف من التعامل مع تكنولوجيا الـ5G الخاصة بها. ولم يكتفِ بذلك، إذ مُنعت الشركة الصينية من استيراد الشرائح الإلكترونية البالغة الدقّة، وتم حظر هواتف الشركة من الوصول إلى كل خدمات «غوغل» الموجودة في نظام التشغيل «أندرويد». مثال آخر، تُعدّ شركة «TSMA» التايوانية، أبرز صانع لأشباه الموصلات البالغة الصغر في العالم. وتأتي خلفها شركات أميركية مثل «إنتل». وصحيح أن تايوان تمتلك أفضل المعرفة والخبرة وسنوات من عمليات الأبحاث والتطوير المكلفة، لكن كل تلك الأشياء لا تستطيع أن تنتج أشباه موصلات بالغة الصغر من دون آلة «euv lithography» التي تنتجها شركة «ASML» الهولندية. وعندما حاولت الصين شراء تلك الآلة من «ASML»، منع ترامب حصول الاتفاق في اللحظات الأخيرة. والصين اليوم ممنوعة من تصنيع سوى أشباه الموصلات الكبيرة والمتوسطة الحجم. في مقابل سيطرة غربية كاملة على هذا المجال.

في مقال رأي نشرته صحيفة «فايننانشل تايمز»، خلال فترة انعقاد المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس أخيراً، يقول إن سلاسل التوريد تتحول بسرعة إلى إقليمية ومحلية، وإن الأعمال التجارية تسير ببساطة مع الواقع الجديد لعالم ما بعد الليبرالية الجديدة. وأن الأسواق الناشئة في أميركا اللاتينية وأفريقيا وآسيا، على سبيل المثال، تبني شبكات إنتاج إقليمية للسلع الأساسية. في النهاية، يمكن أن يؤدي ذلك إلى إنشاء مسارات تجارية أكثر مرونة وتطوير نماذج جديدة غير مرتبطة تماماً بتصدير البضائع الرخيصة إلى حفنة من الدول الغنية عبر طرق النقل الطويلة التي أصبحت أكثر تكلفة ومثيرة للجدل السياسي. ويضيف المقال، أن التقنيات اللامركزية والبيانات الكبرى تسمح بمزيد من الإنتاج المحلي. على سبيل المثال، تظهر المنازل المطبوعة عبر تكنولوجيا الطباعة الثلاثية الأبعاد ليس فقط كحل سريع للإسكان في مناطق الكوارث، ولكن في البلدان الغنية مثل الولايات المتحدة كحل محتمل لتضخم الإيجار. ويختم أن العولمة ليست حتمية، رغم ما قاله لنا السياسيون في التسعينيات. ولكي يعمل أي اقتصاد سياسي، يجب أن يخدم الاحتياجات المحلية.

عالم الديجيتال القادم مثل نهر، وتنمو على ضفتيه حضارات متنوعة ومختلفة في الثقافة والاقتصاد والسياسة. النهر موجود والكل يستفيد منه، لكن لا يملكه أحد. والحضارات تأخذ منه وتشارك فيه بقدر نموها. ومن هذا المنطلق، ومع اكتمال «الميتافيرس» في السنوات القليلة المقبلة، يمكن لنا أن نتخيل انبثاق عوالم افتراضية خاصة أيضاً. «ميتافيرس» صيني وآخر غربي وغيره روسي وربما عربي. وربما ذات يوم، ربما، ستخوض البشرية حروبها العسكرية والاقتصادية داخل عالم الأصفار والآحاد، وسيدور القتال حول من يريد السيطرة على أكبر عدد ممكن من الـNFT.

انجل بوليغان- المكسيك

قراءات

إدارة تفكّك العولمة بالشكل الصحيح *

جوزيف ستيغليتز

كان الاجتماع الأول للمنتدى الاقتصادي العالمي منذ أكثر من عامين مختلفاً بشكل ملحوظ، عن العديد من مؤتمرات «دافوس» السابقة التي حضرتها منذ عام 1995. لم يكن الأمر يتعلق فقط بأن الثلج اللامع والسماء الصافية لشهر كانون الثاني استُبدلتا بمنحدرات التزلج العارية وبمطر شهر أيّار الكئيب. بدلاً من ذلك، كان المنتدى، الملتزم تقليدياً بمناصرة العولمة، مهتماً في المقام الأول باستعراض إخفاقات العولمة: سلاسل التوريد المعطلة، وتضخّم أسعار الغذاء والطاقة، ونظام حقوق الملكية الفكرية الذي ترك مليارات الأشخاص من دون لقاحات كورونا لضمان كسب عدد قليل من شركات الأدوية مليارات الدولارات. من بين الحلول المقترحة في المؤتمر لهذه المشكلات، «إعادة توطين» المصانع أو إعادة تمركز المصانع في الدول الصديقة (ما يعرف بـfriend-shoring)، بالإضافة إلى تشريع «سياسات صناعية لزيادة قدرات البلدان على الإنتاج». لقد ولّت الأيام التي كان يبدو فيها أن الجميع يعملون من أجل عالم بلا حدود. فجأة، أدرك الجميع أن وجود بعض الحدود الوطنية على الأقل هي مفتاح التنمية الاقتصادية والأمن.

بالنسبة لمناصري العولمة غير المقيّدة، أدّى هذا التغيّر الكلّي في الوجهة إلى تنافر إدراكي (حالة سيكولوجيّة تكون فيها تصرّفات الإنسان غير متناسقة مع معتقداته)، لأن المجموعة الجديدة من السياسات المقترحة تشير ضمناً إلى أن القواعد طويلة الأمد لنظام التجارة الدولي سوف تتغيّر. مع عدم قدرتهم على التوفيق بين تمركز المصانع عند الدول الصديقة ومبدأ التجارة الحرة وغير التمييزية، إذ لجأ معظم رجال الأعمال والقادة السياسيين في «دافوس» إلى استعمال العبارات المبتذلة. كان هناك القليل من البحث الذاتي حول كيف ولماذا سارت الأمور على هذا النحو، أو عن العيب في المنطق مفرط-التفاؤل الذي ساد خلال ذروة العولمة. بالطبع، المشكلة ليست في العولمة فقط. أظهر اقتصاد السوق بأكمله أنه يفتقد المرونة. لقد قمنا ببناء سيارات من دون إطارات احتياطية، ما أدّى إلى خصم بضعة دولارات من الكلفة اليوم، بينما لم نولِ اهتماماً لتبعات ذلك في المستقبل. كان استعمال نظام الطلب على البضائع بحسب الحاجة الحاليّة، ابتكاراً رائعاً طالما أن الاقتصاد لم يواجه أكثر من اضطرابات طفيفة. لكنها كانت كارثة في مواجهة عمليات الإغلاق التي فرضتها جائحة كورونا، ما أدّى إلى ظهور سلاسل متتالية من نقص العرض (مثلما أدّت ندرة العرض في الشرائح الإلكترونيّة إلى ندرة العرض في السيارات الجديدة).

> في اجتماع هذا العام لنخب رجال الأعمال والسياسة في «دافوس» اتّضح أن الرؤية الطويلة الامد لعالم بلا حدود، لم تعد ذات مصداقية. لسوء الحظ، كان واضحاً أيضاً أن الاعتراف بهذه الحقيقة لم يترافق مع الاعتراف باخطاء الماضي

كما حذرت في كتابي عام 2006، «إنجاح العولمة»، تقوم الأسواق بعمل سيء لجهة «تسعير» المخاطر. لنأخذ على سبيل المثال ألمانيا، التي اختارت جعل اقتصادها يعتمد على شحنات الغاز من روسيا، وهي شريك تجاري غير موثوق به بالنسبة لها. والآن هي تواجه عواقب كانت قابلة للتوقّع.

كما اعترف آدم سميث في القرن الثامن عشر، فإن الرأسمالية ليست نظاماً قابلاً للاستمرار بشكل ذاتي، لأن دائماً هناك ميل طبيعي نحو الاحتكار. ومع ذلك، منذ أن بدأ الرئيس الأميركي رونالد ريغان ورئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر حقبة «إلغاء القيود»، أصبح تركّز الأسواق في بلدان معيّنة هو القاعدة. ليس فقط في القطاعات البارزة مثل التجارة الإلكترونية ووسائل التواصل الاجتماعي. كان النقص الكارثي في حليب الأطفال في الولايات المتحدة هذا الربيع هو نفسه نتيجة الاحتكار. وبعدما اضطرت شركة «أبوت» إلى تعليق الإنتاج بسبب مخاوف تتعلق بالسلامة، سرعان ما أدرك الأميركيون أن شركة واحدة فقط تمثّل نحو نصف الإمدادات الأميركية من حليب الأطفال. بالإضافة إلى ذلك، ظهرت التداعيات السياسية لفشل العولمة بشكل كامل في «دافوس» هذا العام. عندما غزت روسيا أوكرانيا، تمت إدانة الكرملين فوراً وبشكل شبه عالمي. إنما بعد ثلاثة أشهر، تبنّت البلدان النامية مواقف أكثر غموضاً. يشير الكثير من هذه الدول إلى نفاق أميركا في المطالبة بمساءلة روسيا بشأن عدوانها، رغم أنها هي نفسها غزت العراق بذرائع كاذبة عام 2003. وتركّز البلدان النامية على الماضي القريب أيضاً، عندما طبّقت أوروبا وأميركا «قومية اللقاحات»، من خلال قوانين حماية الملكية الفكرية التي تفرضها منظمة التجارة العالمية منذ أكثر من 30 عاماً. والآن تتحمل البلدان النامية وطأة ارتفاع أسعار الغذاء والطاقة. إلى جانب المظالم التاريخية المرتكبة، أدّت هذه التطورات الأخيرة إلى إضعاف مصداقية الدعوة الغربية للديموقراطية وسيادة القانون الدولي. من المؤكد أن العديد من الدول التي ترفض دعم دفاع أميركا عن الديموقراطية ليست ديموقراطية. لكن من بين هذه الدول الرافضة هناك دول ديموقراطية بالفعل، وقد تم تقويض مكانة أميركا في قيادة تلك المعركة بسبب إخفاقاتها، من العنصرية النظامية ومغازلة إدارة ترامب للسلطويين إلى محاولات الحزب الجمهوري المستمرة لقمع التصويت وتحويل الانتباه عن تمرد 6 كانون الثاني 2021 في مبنى الكابيتول الأميركي.

إن أفضل طريقة للمضي قدماً بالنسبة للولايات المتحدة هي إظهار تضامن أكبر مع البلدان النامية من خلال مساعدتها على إدارة ارتفاع أكلاف الغذاء والطاقة. يمكن القيام بذلك عن طريق إعادة توزيع حقوق السحب الخاصة المخصصة للدول الغنية. علاوة على ذلك، من المرجح أن يتسبب ارتفاع أسعار الغذاء والطاقة في حدوث أزمات ديون في العديد من البلدان الفقيرة، ما يزيد من تفاقم اللامساواة الإضافية التي تسببت بها الجائحة. إذا أرادت الولايات المتحدة وأوروبا إظهار قيادة عالمية حقيقية، فعليهم أن يتوقفوا عن الانحياز للمصارف الكبرى والدائنين الذين أغروا البلدان على تحمل ديون أكثر مما تستطيع تحمله.

بعد أربعة عقود من الدفاع عن العولمة، من الواضح أن حشد «دافوس» أسماء إدارة الأمور. لقد وعد هؤلاء الدول المتقدمة والنامية بالازدهار. ولكن في الوقت الذي نمت فيه الشركات العملاقة في شمال الكرة الأرضية، فإن العمليات التي كان يمكن أن تجعل الجميع في حال أفضل، تسبّبت في صناعة الأعداء في مختلف الأماكن في الأرض. كان «علم الاقتصاد المتدرج»، وهو الادعاء بأن إثراء الأثرياء سيفيد الجميع تلقائياً، خادعاً.

كان اجتماع «دافوس» هذا العام فرصة ضائعة. كان يمكن أن يكون مناسبة للتفكير الجاد في القرارات والسياسات التي أوصلت العالم إلى ما هو عليه اليوم. الآن بعد أن بلغت العولمة ذروتها، لا يسعنا إلا أن نأمل في إدارة تدهورها بشكل أفضل مما فعلنا في إدارة صعودها.

نشر هذا المقال على موقع project-syndicate.org **في** 31 أيّار 2022

مقال

«القدر أو الحضارة» [4]

الملتوثية الجديدة

زياد حافظ *

لم تمض دقائق على إعلان القاضي سمويل اليتو في المحكمة الدستورية العليا، نقض قرار سابق صدر عن هذه المحكمة في عام 1973 بحق المرأة بالإجهاض، حتى عمّت شوارع المدن الكبرى تظاهرات معارضة بتشجيع من أعضاء الكونغرس الديموقراطيين. القرار يزيد الانقسام القائم بين مكوّنات المجتمع الأميركي، لأن تداعياته خطيرة، وليس فقط على تماسك الولايات المتحدة بل على مستقبل الكيان. إذ إن خطر الانقراض السكّاني في الولايات المتحدة أمر واقع وحتمي لولا الهجرة، ولو أنها تخلق مشكلات من نوع آخر. قرار كهذا يؤكّد حصول هجوم على الأسرة كوحدة أساسية للتماسك الاجتماعي، ويجعل الفرد يتحوّل من مواطن إلى مستهلك تتقلّص حقوقه وتزيد واجباته خدمة لمصالح أقلية تتحكّم بمقدرات البلاد والعالم، وترفض الخضوع لأي مساءلة أو محاسبة. لماذا يحدث ذلك؟

يمكن مقاربة هذا القرار في سياق حركة انطلقت في السبعينيات لإعادة الاعتبار للملتوثيانية، أي للنظرية التي أطلقها القس روبرت مالتوث (1766-1834) أحد الاقتصاديين الكلاسيكيين في بداية القرن التاسع عشر. فهذه الحركة أصبحت تتحكّم بذهنية النخب الحاكمة في الغرب، وتشير إلى أن موارد العالم تتقلّص بسبب تزايد السكان بمعدّلات هندسية (geometric progression) في مقابل زيادة الموارد الغذائية بمعدّلات رياضية (arithmetic progression). وبالتالي، فإنه في وقت ما، لن تكفي موارد العالم الغذائية لتغطية حاجات السكان، ولا بد من استباق الأزمة القادمة عبر تحديد النسل. لذا، اعتبرت الحروب والجائحات «مفيدة» إن لم تكن «ضرورة» للوصول إلى الهدف.

التطوّرات العلمية والتقنية أسهمت في زيادة إنتاجية الموارد التي تنتج المواد الغذائية ونقضت هذه النظرية. فأصبحت الندرة التي أشار إليها مالتوث من الماضي. واللافت أنه برزت ندرة جديدة مصطنعة كلّياً، أوجدتها النخب الاقتصادية الحاكمة والمتحكّمة بمقدّرات العالم عبر الاحتكارات والتركيز الاقتصادي. ما نريد أن نقوله هو أن النيوليبرالية حوّلت الرأسمالية الإنتاجية التي تستغل اليد العاملة إلى رأسمالية ريعية مالية تستغل كل البشرية. لكن لتمكين الاستغلال، كان لا بدّ من ضبط إمكانية المساءلة والمحاسبة. فتحوّلت النظم السياسية التي كانت تحمل شعار الديموقراطية وحكم القانون والمؤسّسات، إلى دول أمنية بامتياز. إذ لم يعد القانون حامياً للمواطنين، بل أداة للنخب الحاكمة بدليل مطاردة الضابط السابق في وكالة الأمن الوطني (NSA)، إدوارد سناودن، الذي كشف عن وجود تنصّت على المواطنين الأميركيين خلافاً لأحكام الدستور والقانون الأميركي. كذلك الأمر بالنسبة لجوليان أسانج الذي يقبع في سجون المملكة المتحدة قبل ترحيله وتسليمه للسلطات الأميركي بتهم واهنة، لأنه فضح فساد السلطات الأميركية عبر تسريبات ويكيليكس. وللمزيد من المعلومات حول الدول الأمنية الجديدة، فإن كتاب وليم انجلهاردت «دولة الظلّ» يشرح كل ذلك بالتفاصيل.

إفساد الأنظمة الديموقراطية التي من واجبها ضبط سلوك الحكم، حصل عبر تدخّل المال في العملية الانتخابية التي هي قاعدة الديموقراطية. فالقوانين أصبحت تُسنّ في مكاتب مجموعات الضغط المعروفة باللوبيات التي تدفع الأموال الطائلة للنوّاب في حملاتهم الانتخابية. والإنفاق المالي غير المحدود أصبح «وسيلة عن التعبير» كما جاء في حكم مشين للمحكمة الدستورية العليا في عام 2010 التي اعتبرت الإنفاق المالي في الانتخابات حقّاً يصونه الدستور لأنه «وسيلة للتعبير». الإفساد المالي اخترق كل المؤسسات الليبرالية التي شكّلت ركائز الديموقراطية بما فيها مؤسّسات الدفاع والأمن الداخلي. فأصبحت أداة للنخب الحاكمة الشمولية تحت شعار الليبرالية.

لكن ما يدفع هذه النخب الليبرالية للتسلّط وقمع كل من يعارضها، هو خشيتها من الناس الذين يتكاثرون. ليس لدى هذه النخب حلول لمواجهة حاجات الناس إلاّ بإشراك الناس في الأرباح والامتيازات، وهذا ما لا تقبله. بالنسبة إليها، الحلّ يكمن في إلغاء الناس جسدياً وسياسياً وثقافياً. والملتوثية الجديدة بدأت تظهر في عام 1980 بعدما نُشرت مذكّرة هنري كيسنجر رقم 200 الموجهة إلى مجلس الأمن القومي في عام 1974. اعتبرت هذه المذكّرة أن مشكلة العالم هي في وجود سكّان أكثر ممّا تسمح الموارد الطبيعية. هذا التفكير الخاطئ يريد تبرير هيمنة الرجل الأبيض بشكل عام والإنغلوساكسونيّين بشكل خاص، على مقدّرات العالم. فبعد حصول معظم دول العالم على استقلالها تبخّرت إمكانية استيراد المواد الأولية بأسعار منخفضة وإعادة تدويرها عبر المنتجات الصناعية وبيعها بأسعار مرتفعة. هذا ما أشار إليه الاقتصادي الأرجنتيني راوول بريبيش في عام 1947. العديد من الدول المصدرة للمواد الأولية اعتمدت هذه النظرية بعدما كانت محرومة من استغلال ثرواتها. هنا نود التذكير بعملية تدمير القاعدة الصناعية للنسيج في مصر على يد البريطانيين في القرن التاسع عشر والتي بناها محمد علي. يومها، فُكّكت المصانع ورُميت في جزيرة موريشيوس التي كانت مستعمرة بريطانية.

أما في القرن العشرين والحادي والعشرين، فقد تغيّرت موازين القوّة وأصبحت الدول التي كانت سابقاً خاضعة للنفوذ الأوروبي والأميركي، مستقلّة تدريجياً في قراراتها الاقتصادية، ما هدّد «رفاهية» الغرب. غير أن الامبراطوريات لا تتخلّى بسهولة عن مكاسبها وتعمل بشتّى الوسائل للحفاظ على سيطرتها إلى أن تستنفذ إمكاناتها كافة. بناءً على ذلك، تحوّل التفكير من السيطرة المباشرة، إلى وسائل تُفرض على الدول التي حصلت على استقلالها، الالتحاق بمنظومات اقتصادية تكون بمثابة اليد العليا للإمبراطوريات السابقة. هذا هو مفهوم مشاريع «الشراكة المتوسطية، أو الأورومتوسطية، أو الشرق الأوسط الجديد...» كلّها تسميات بمضمون واحد يكمن في السيطرة الاقتصادية والسياسية على هذه الدول. وشهدنا إقامة مؤسسة دولية على هذا الأساس، كالحلف الأطلسي الذي يهدف رسمياً إلى الدفاع عن أوروبا من الخطر السوفياتي، فتحوّل إلى مؤسسة للهيمنة الأميركية على حساب أوروبا. هذا ما يُظهره إصرار الأطلسي على إطالة الحرب في أوكرانيا، وليس بالضرورة لإضعاف روسيا، كما صرّح وزير الدفاع الأميركي، بل لجعل أوروبا خاضعة كلّياً للولايات المتحدة ووأد أي محاولة استقلالية كالتي أظهرها سابقاً الرئيس الفرنسي الراحل شارل ديغول. وكذلك الأمر بالنسبة إلى منظمة الدول الأميركية التي هدفها سيطرة الولايات المتحدة على دول أميركا اللاتينية.

تُجابه هذه المحاولات من الدول الحريصة على تحصين سيادتها بعدما استطاعت عبر نضال طويل الحصول على حيّز من الاستقلالية. وهذا لا يتماهى مع مصالح الغرب بشكل عام والنخب الحاكمة الأميركية. وهي ترى أنه لا بد من إضعاف العالم الثالث أو الجنوب الإجمالي لاستمرار سيطرتها على المواد الأولية في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية. فالغرب بنى رفاهيته على حساب دول الجنوب خلال الحقبة الاستعمارية وحتى بعد حصول دول الجنوب الإجمالي على استقلالها. علماً بأن هناك دول قاومت ذلك، مثل مصر والعراق وسوريا والجزائر وكوبا، ما أدّى إلى حروب مفتوحة معها أو إلى افتعال حروب داخلية أو محاصرتها اقتصادياً أو مالياً. واليوم نرى هذه الحروب المتعدّدة الأشكال تطال دولاً كالجمهورية الإسلامية في إيران وروسيا والصين وكل دولة تُعرب بشكل أو بآخر عن رغبتها في تثبيت استقلاليتها. ويمكن القول إنه في داخل الغرب صراع مرير، إذ لا مجال لقطبين في الغرب نفسه، أن يستمرّا. فالولايات المتحدة تريد تحييد ألمانيا التي تنافسها كقوّة اقتصادية، وبالتالي لا مانع لديها أن يُدمّر الاقتصاد الألماني وحتى الأوروبي في المواجهة مع روسيا لأن خطر الشيوعية لم يعد قائماً. وهذه المسرحية ما زالت قائمة، إذ إن الاتحاد الأوروبي، ورغم أنه الخاسر الواضح، ما زال في الخندق نفسه مع الولايات المتحدة.

> ما يدفع النخب الليبرالية للتسلّط وقمع كل من يعارضها هو خشيتها من الناس الذين يتكاثرون

ما يهمّنا هو مدى تأثير ذلك على دول الجنوب الإجمالي، وخاصة في الوطن العربي. فمحاولات «إضعاف» الجنوب الإجمالي وإخضاعه للسيطرة الغربية عبر تحديد النسل ضمن هدف انقراض النسل الأفريقي والعربي مستمرّة، وإن كان ذلك بعيد المنال. ففي أفريقيا الغربية التي تخضع للهيمنة الفرنسية ما زال النقد المتداول بيد فرنسا. أما محاولات معمّر القذافي لإنشاء عملة أفريقيّة تستند إلى الذهب فقد جوبهت بتدمير ليبيا وقتل القذافي وتسليم ليبيا إلى جماعات التعصّب والغلو والتوحّش. لكن السلاح الأكثر فتكاً هو تفشّي الجائحات المختلفة. في الماضي القريب كانت جائحة «إيبولا» تفتك بأفريقيا الوسطى، وقبلها الفيروس الذي هاجم البقر في أوروبا، ثم فيروس الخنازير في آسيا، واليوم جائحة كورونا التي أصابت كل القارات دفعة واحدة وأفرزت لقاحاً غربياً قد يؤثّر في الخصوبة وإنجاب الأطفال. ناهيك أن الجائحة كانت تجربة خاضها الغرب للسيطرة القسرية على الشعوب ومنع أي معارضة لهذه الإجراءات تحت طائلة التجريم والتسخيف والعزل. فهناك شخصيات طبّية مرموقة في أوروبا تمّ تحقيرهم وعزلهم عن أعمالهم لأنهم انتقدوا طريقة معالجة الجائحة التي فرضتها الحكومات الغربية على مؤسّساتها الطبّية والصحّية. أما في الوطن العربي، فالحروب الداخلية تسهم في إفقار الدول وتمنع الوحدة وبالتالي النهضة. الحروب تضرب معدّلات النمو السكاني وعلينا أن ندرس تداعيات الحرب على العراق وسوريا واليمن والجزائر.

وقعت الصين في فخ تحديد النسل الذي خطّط له الغرب تحت شعار «التخطيط الأسري»، فحدّدت عدد الأطفال في كل أسرة بطفل واحد. وجاءت النتيجة، خلل بين ولادات الذكور والإناث لصالح الذكور

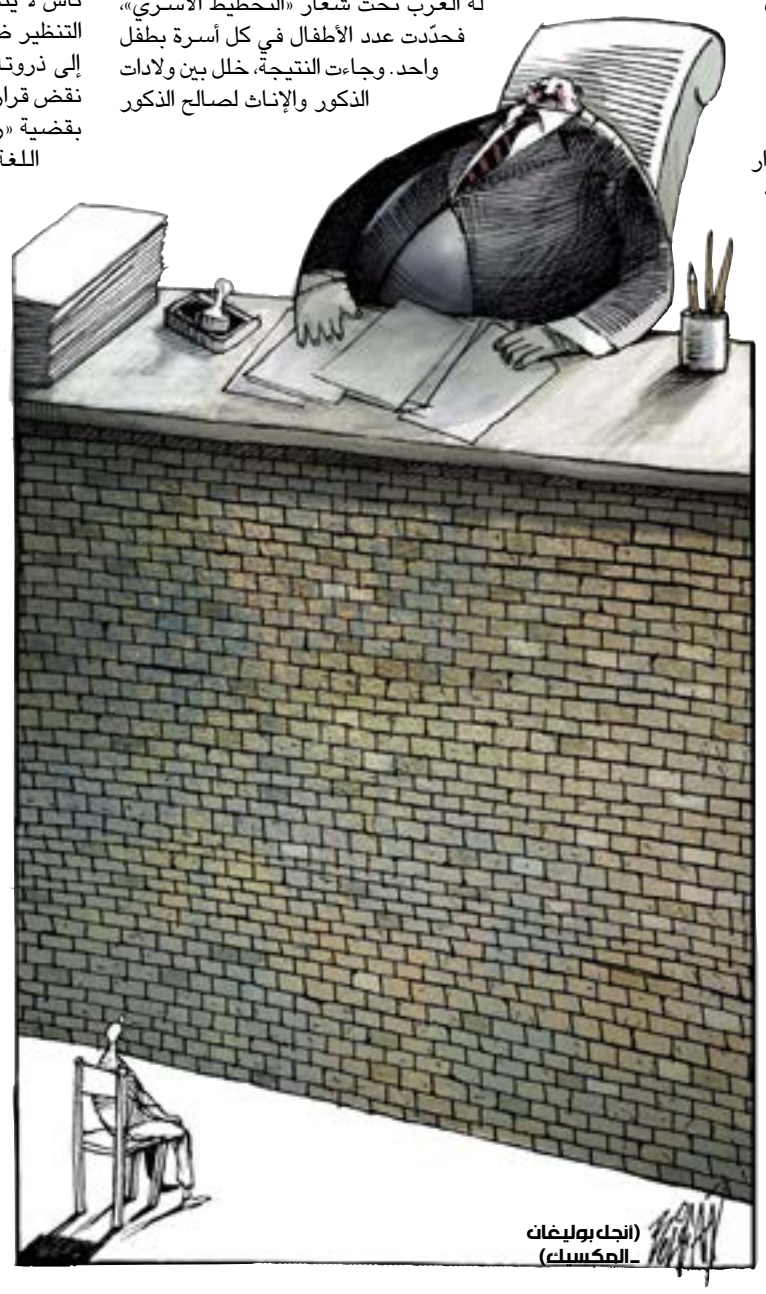
(انجل بوليغان ـ المكسيك)

ما أدّى إلى تراجع معدل نمو السكان بشكل ملحوظ ونمو معدلات الشيخوخة. الصين استدركت وتحاول تعديل ذلك ومعها روسيا التي أصابتها ظاهرة الشيخوخة أيضاً. في الواقع، سرعان ما انتبهت الدول التي خاضت تجارب تحديد النسل من خطورة هذا الإجراء الذي يخلّ بموازين القوّة والاستقرار. روسيا التي تخوض حرباً باسم عدد من الدول الرافضة للهيمنة الغربية، تجد نفسها مضطرة إلى استيراد يد عاملة أجنبية للبناء وإعادة تأهيل البنى التحتية. الحرب الغربية الاقتصادية على روسيا، تحوّلت إلى فرصة ذهبية للتنمية في روسيا ولحلفائها، إنما ذلك يتطلّب يداً عاملة، لذا، يمكن تفهّم ما قاله الرئيس الروسي في خطاب موجّه إلى الشعب الروسي في عام 2021، حول دعم الأسرة وتشجيع النسل.

هنا يكمن الفرق الكبير بين تفكير النخب النيوليبرالية وبين نخب دول الجنوب الإجمالي بما فيها الصين وروسيا. هذه الأخيرة تعتبر أن الإنسان قيمة أساسية، وأن السكّان ثروة على عكس النخب النيوليبرالية التي تعتبر أنهم عبءٌ على رفاهيتها. الفرق كبير في منظومة القيم بينهما. ويعود ذلك إلى الموروث التاريخي للمجتمعات العربية حيث القيم الروحية والاجتماعية ما زالت متجذّرة في الوعي الجماعي والفردي. فالنظرة الثابتة للأمور تتحكم بالعقل النيوليبرالي الذي يتبنّى الملتوثية الجديدة. صحيح أن التطوّر التكنولوجي استطاع منذ القرن الماضي مواجهة قضية الندرة، لكن سلوك النظام الرأسمالي عموماً، والريعي المالي خصوصاً، خلق ندرة مصطنعة تهدّد التماسك الاجتماعي. وبدلاً من تغيير السلوك وإلغاء الندرة المصطنعة الناتجة من الممارسات الاحتكارية والتمركز الاقتصادي، وجدت النخب النيوليبرالية طريق خلاصها عبر التخلّص من السكّان. كما أن النظرة النيوليبرالية للتطوّر التكنولوجي هي أنّ الذكاء الاصطناعي سيكون البديل من الإنسان، بينما نعتقد أنه مهما تتطوّر الذكاء الاصطناعي فالإبداع والتطوّر سيبقى من صنع الإنسان. لكن خشية الرأسمالية الريعية من أنها ستضطر إلى توزيع فائض الثروة على ناس لا ينتجون، وبالتالي لا مبرر لوجودهم.

التنظير ضد التناسل وصل في الولايات المتحدة إلى ذروته بعد قرار المحكمة الدستورية العليا الذي نقض قراراً سابقاً لها صدر في عام 1973 والمعروف بقضية «رو ضد وايد» (Roe vs Wade). «رو» في اللغة الإنكليزية تعني الجنين الذي لم يصبح «إنساناً». قرار النقض يعيد للولايات حقّ التشريع في ما تراه مناسباً على عكس قرارها السابق الذي سلخ حقّ الولايات في تقرير التحكّم بجسد المرأة، وبالتالي حقّها في الإجهاض. ومنذ ذلك الحين تحوّلت القضية إلى قضية خلافية عميقة بين الأميركيين. وسائل إعلام الشركات المهيمنة يُشير إلى أن حالات الحمل تشكّل عبئاً على الاقتصاد، والشركات الكبرى تفضّل تحمّل كلفة الإجهاض بدلاً من كلفة الأمومة. الإعلام الأميركي الذي أصبح شمولياً لا يقبل النقد والنقض. لذا، نرى عداء النيوليبراليين للدين وللأسرة، وهم يريدون إعادة هندسة المجتمع لصالح أقلّية نخبوية على حساب الغير. النيوليبرالية ليست عدواً للعدالة والمشاركة والمساءلة والمحاسبة فحسب، بل أيضاً لمجمل القيم الإنسانية. وهذه الأفكار تحملها مؤسّسات دولية تسهم في صنع القرار في الدول الغربية، ويمكن نعتها بمؤسسات الدمار الاجتماعي الشامل كالمنتدى الاقتصادي العالمي أو منتدى دافوس وأخواتها، كمؤسسة المجتمع المفتوح لجورج سوروس، ومنتدى بيلدبرغ، واللجنة الثلاثية للقارات، ومؤسسة بيل وميلندا غاتس.

* باحث وكاتب اقتصادي سياسي والأمين العام السابق للمؤتمر القومي العربي وعضو الهيئة التأسيسية للمنتدى الاقتصادي والاجتماعي